الشريعة الإسلامية

وحماية البيئة

د. عبد العزيز خليفة القصار
المدرس بكلية الشريعة والدراسات
الإسلامية
قسم الفقه المقارن

د. وليد خالد الشايجى
المدرس بكلية الشريعة والدراسات
الإسلامية
قسم الفقه المقارن

الشريعة الإسلامية وحماية البيئة

ملخص البحث

إن استخلاف الله تعالي للإنسان في هذا الكون له مدلولات كبيرة، تشير إلي تكريم الله تعالي للإنسان وتسخير ثروات وموارد ذلك الكون لخدمته وتحقيق رفاهيته، وفي خضم ذلك الهاجس المتعالي لتحقيق قدر أكبر من الترف والرفاهية، أساء الإنسان استخدام موارد بيئته، مما نتج عنه تفاقم مشكلات كبيرة أثرت علي سلامة الإنسان وأمنه.

وهنا حذا بالكثير من المهتمين بعلوم البيئة إلي التداعي لعقد مؤتمرات وندوات لتحذير من الخطر القادم الذي يهدد البيئة.

ونظرة مستوعبة للشريعة الإسلامية يستنتج الناظر،أن الشريعة الإسلامية تكون متكاملة لحماية البيئة.

فالالتزام بمبادئ، وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء يحقق أكبر قدر من الرفاهية في العيش علي هذه الأرض، وذلك أن الإسلام يسمو بالإنسان ليرتفع به عن ملوثات الفكر فيتفادي الأخطار التي تلوح بها ما أحدثه الإنسان بيده، وهو ما سنعرض بعضاً منه في بحثنا هذا.

مقدمة

الحمد لله الخالق الذي امتن علي الوجود بتسخير الأرض للخلائق أجمعين، القائل في كتابه الكريم: **(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)** (١).

والصلاة والسلام علي خير من أمر الناس بالتنزه والنظافة في أمور الحياة والدين، وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وبعد...

فلقد ارتقي الفكر الإسلامي بمفهوم المحافظة علي البيئة، ووضع سبل الوقاية والمعالجة لكل ما قد يطرأ علي البيئة من تدهور وإتلاف وسبق بسموه وكماله كل التشريعات الحديثة المنادية لحماية البيئة، بل لقد أوجب المولي تبارك وتعالي علي الإنسان بوصفه خليفة الله تعالي في الأرض أن يلتزم بالمحافظة علي البيئة، وتنمية مواردها وإعمارها لصالح البشرية جمعاء وتوعد المخالفين العابثين في الأرض فساداً، لأن الأرض وما فيها هي قوام الحياة عامة والنفس الإنسانية خاصة، ومن أولي اهتمامات الشريعة ومقاصدها حفظ النفس، لذا فقد راعي الإسلام في تشريعاته كل ما يحفظ سلامتها ويكفل استقرارها واطمئنانها، ومن ذلك، تشريعه في المحافظة علي البيئة.

وقد عزمنا علي إلقاء نظرة موجزة علي اهتمام الشريعة الإسلامية بالبيئة، وكيف حمتها، لذا كان هذا البحث المعنون بـ «الشريعة الإسلامية وحماية البيئة» والهدف من هذا البحث هو بيان سمو ورقي الشريعة الإسلامية في تعاملها مع الإنسان والبيئة والكون، وأنها سبقت كل التشريعات الوضعية في وضع أساليب وطرق تكفل حماية البيئة والمحافظة عليها.

ومن هذا الهدف جاء تقسيم البحث علي النحو التالي:

المبحث الأول: وفيه بيان معني البيئة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: وفيه نظرة للبيئة في القرآن الكريم.

(١) سورة النحل: آية (١٢)

المبحث الثالث: وفيه نظرة للبيئة في السنة النبوية.

المبحث الرابع: وفيه حماية الإسلام للبيئة، والمنطلقات في معالجته للمشاكل البيئية المتنوعة.

المبحث الخامس: وفيه حماية البيئة حال الحرب.

ثم الخاتمة التي تبين أهم النتائج في هذا البحث.

ونسأل الله تعالي، أن يوفقنا لما فيه خير ديننا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
معني البيئة

أولاً: البيئة لغة:

البيئة مأخوذة من الفعل «باء»، يقال: باء يبوء بوءاً ومباءة، وله في اللغة عدة معان، منها:

١- الرجوع والاعتراف: يقال: باء بحقه، رجع واعترف به وأقر به[١].

٢- الثقل: يقال: باء بذنبه أي ثقل به[٢].

٣- الالتزام: ومنه ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**»[٣].

أي التزمه، وأصل البواء اللزوم[٤].

٤- وأشهر معاني الباءة أو المباءة، هي: الموضع أو المنزل والإقامة[٥].

وأصل الباءة من الموضع الذي تبوء إليه الإبل، أي ترجع، ثم جعل عبارة عن المنزل ثم كني به عن الجماع، إما لأنه لا يكون إلا في الباءة غالباً، أو لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن، كما تبوأ من داره[٦].

وبمعني الموضع أو المنزل جاء قوله تعالى: (**وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً**)[٧]، وبوأكم: أي أنزلكم[٨]

(١) أنظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي ص: ٢٥٠، - تهذيب الصحاح الزنجاني: ٧/١.
(٢) أنظر: أساس البلاغة للزمخشري ص: ٥٣.
(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث رقم: ٦١٠٤ - ٣٢/٨.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٥٩/١.
(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٣١٢/١ - القاموس المحيط للفيروز آبادي: ص٤٣، التعاريف علي مهمات التعاريف للمناوي ص: ١٠٩، الكليات ص: ٨٢٨.
(٦) المصباح المنير للفيومي ص: ٦٧، المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي، ص: ٥٤.
(٧) سورة الأعراف، آية: ٧٤.
(٨) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ١٥٢/٣، تفسير الماوردي: ٥٢/٣.

وقوله تعالى: (**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة**)[١]، أي مباءة حسنة، قال البيضاوي: هي المدينة[٢].

فالبيئة بهذا المفهوم اللغوي هو موضع الإقامة، فتشمل كل مرافق الإقامة من منزل ومدينة ومجتمع وغيرها، وهذا المعني هو المرتبط، بموضوع بحثنا عن البيئة.

ثانياً: البيئة إصطلاحاً:

هناك أكثر من تعبير لمفهوم البيئة عند علماء البيئة، وإليك أهمها:

البيئة [Environment] **هي:**

الوسط المكاني يعيش فيه الإنسان، بما يضم من عناصر حية وغير حية يتأثر بها ويؤثر فيها[٣].

وهذا المفهوم هو المعني العام للبيئة في اللغة الذي سبق بيانه، إذ الموضع أو الإقامة أو المنزل الذي يستقر فيه الإنسان، ويزاول مهام حياته اليومية، هو محل تنفيذ نشاطاته الطبيعية والصناعية[٤].

وهذا المفهوم يبين أيضاً الدور الذي يحدثه الإنسان في التعايش مع البيئة سواء منها الطبيعي أو المشيد.

البيئة هي: كل شيء يحيط بالإنسان[٥].

وهو مفهوم إعلان (استكهولم) بالسويد عام ١٩٧٢م.

وقرروا في هذا المفهوم أن البيئة تشتمل علي شيئين أساسيين: البيئة الطبيعية والبيئة البشرية.

(١) سورة النحل، آية: ٤١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣٩٨/٣، وانظر: كتاب التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي: ٩٨/٢.
(٣) الإنسان وقضايا البيئة د. ضاري العجمي، د. عبد المنعم مصطفي ص: ٦.
(٤) انظر: قضايا بيئية معاصرة، د. زين الدين عبد المقصود ص: ١٧.
(٥) الإنسان وقضايا البيئة ص: ٨، الإنسان والبيئة د. محمد الصابريني، د. رشيد الحمد، ص: ٢٢ - ٢٣

فالبيئة الطبيعية هي: كل ما يحيط بالإنسان من عناصر حية وغير حية، وليس للإنسان دور في وجودها.

والبيئة البشرية هي: البيئة المشيدة التي صنعها الإنسان نتيجة تفاعله مع بيئته التي يعيش فيها[1].

٣- البيئة هي: مجموعة النظم الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان مع الكائنات الحية الأخري التي تستمد منها زادها وتؤدي فيها نشاطها[2].

وهذا المفهوم أعم وأشمل مما سبقه، لأنه يشتمل علي النظم والقواعد التي تحدد مسار التعايش بين عناصر البيئة، إضافة إلي المكونات الأخري للبيئة التي تؤدي دوراً فاعلاً في محيطها[3].

٤- البيئة هي: مجموع العوامل الطبيعية والبيولوجية والعوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تتجاور في توازن وتؤثر علي الإنسان والكائنات الأخري بطريق مباشر أو غير مباشر.

وهذا التعريف هو ما انتهي إليه أ. د. أحمد عبد الكريم سلامة في بحثه «حماية البيئة في الفقه الإسلامي»[4].

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن أن نختار مفهوماً للبيئة وهو:

«الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مع غيره من الكائنات الحية وغيرها، تجمعهما علاقات منظمة قائمة علي التأثير والتأثر».

وهذا المفهوم لا يختلف في مضمونه عن المفاهيم السابقة، إلا أنه يتميز بالاهتمام بالعنصر الفاعل في هذه المنظومة البيئية، وهو الإنسان القادر علي إحداث التغيرات الإيجابية في المكان الذي يعيش فيه ويؤثر في المحيط الذي يحويه[5].

(١) انظر: الإنسان وقضايا البيئة ص: ٧، الإنسان والبيئة: ٢٧.
(٢) انظر: الإنسان وقضايا البيئة ص: ١٢، وهو تعريف مؤتمر تبليسي ١٩٧٧م.
(٣) التربية البيئية، د. محمد منير سعد الدين، ص: ٥.
(٤) حماية البيئة في الفقه الإسلامي أ. د. أحمد عبد الكريم ص٢٧٢ مجلة الأحمدية - العدد الأول - محرم ١٤١٩هـ.
(٥) انظر: الإنسان وقضايا البيئة، ص: ١٢.

مكونات البيئة:

١- **العناصر الحية المستهلكة:** وتتضمن الكائنات الحيوانية التي تعتمد في غذائها علي غيرها، وتشتمل علي الحيوانات والإنسان، وهو العنصر المهم في هذه المجموعة، ولهذا يطلق بعضهم علي هذا القسم «السكان» نظراً لأهمية الإنسان في هذه المنظومة[1].

٢- **الطبيعة:** وتشتمل علي مجموعة العناصر الحية وغير الحية، فتتضمن الأرض وما عليها وما حولها من بر وبحر وحيوان ونبات وهواء.

٣- **التنظيم الاجتماعي:** وهي الأنشطة التي يمارسها الإنسان في علاقته مع الوسط المحيط به.

٤- **التكنولوجيا:** وتمثل مختلف أنواع التقنيات التي استحدثها الإنسان، والتي مكنه من استثمار موارد البيئة لتلبية حاجياته[2].

ولعل أكثر اهتمام العلماء ينصب علي العنصر الثاني، وهو الطبيعة التي تشتمل علي البيئة البحرية والبرية والجوية.

المبحث الثاني

البيئة في القرآن الكريم

الكلام علي البيئة في القرآن الكريم، متنوع ومتعدد الجوانب، ولهذا سوف نقتصر علي أبرز القضايا البيئية التي تطرق إليها القرآن الكريم، ومنها:

البيئة بمفهومها العام، ونظرية توازن البيئة، والبيئة البحرية، والبيئة الزراعية والبيئة الحيوانية، وسوف نرجيء الكلام علي حماية البيئة في القرآن لمبحث حماية الإسلام للبيئة.

(١) الإنسان والبيئة ص:٢٦.
انظر: الإنسان والبيئة، ص: ٢٦ - بيئة من أجل البقاء.. د. سعيد محمد الحفار ص: ٥٤.

أولاً: البيئة بمفهومها العام:

ذكرنا فيما سبق أن البيئة هي الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان فيؤثر به ويتأثر بمن حوله، وقد ذكر المولي عز وجل هذا المعني بعدة آيات: من ذلك قوله تعالي: **(والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلي حين، والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)**[1].

فالسكن والطمأنينة في البيوت نعمة لا يقدرها حق قدرها إلا المشردون الذين لا بيوت لهم ولا سكن ولا طمأنينة، والتذكير بالسكن يمس المشاعر الغافلة عن قيمة هذه النعمة.

والإسلام يريد البيت مكاناً للسكينة النفسية والاطمئنان الشعوري، هكذا يريده مريحاً تطمئن إليه النفس وتسكن وتأمن، سواء بكفايته المادية للسكن والراحة، أو باطمئنان من فيه بعضهم لبعض، ومن ثم يضمن الإسلام للبيت حرمته، ليضمن له أمنه وسلامته، فلا يدخله داخل إلا بعد الاستئذان، ولا يقتحمه أحد بغير حق، ولا يتجسس أحد علي أهله في غفلة منهم أو غيبة فيروع أمنه، ويخل بالسكن الذي يريده الإسلام للبيوت[2].

فجعل الله تعالي للإنسان البيت حتي يسكن فيه وتهدأ نفسه وتستر عورته، ولهذا فالسكن هو ما سكنت إليه، وما سكنت فيه[3].

ولعل من المصطلحات التي بدأت تدخل في مجال الدراسات البيئة، وهو ما يطلق عليه اليوم «اللاجئون البيئيون».

وهم تلك المجموعات السكانية التي تضطر لمغادرة بيئتها تحت ضغط التحول البيئي نحو الإقفار والتدهور بما يعجزها عن إعالة ما تضمه من سكان، وقد يتم هذا

(١) سورة النحل، آية: ٨٠ - ٨١.
(٢) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب: ٢١٨٦/٤ - ٢١٨٧.
(٣) انظر: تفسير الرازي: ٩٤/٢٠، - زاد المسير: ٣٤٨/٤ - ٣٤٩.

...جوء، طواعية من جانب السكان لتفادي الجوع والمجاعة، وقد يتم قسراً من جانب ...كومات عندما تجبر مجموعة من السكان علي الرحيل من أراضيهم المتدهورة ...صائها وتعميرها استعادة قدراتها البيولوجية، وتعتبر ظاهرة اللجوء البيئي من ...ظواهر التي تتصف بها الدول النامية بالدرجة الأولي لأنها أكثر الدول تعرضاً للتحول ...بي السلبي أو المدمر نتيجة الاستخدام غير العاقل لموارد البيئة[1].

ناظر كيف نبه القرآن الكريم إلي هذه النعمة العظيمة وغفل عنها كثير من ...اس.

...ا نظرية توازن البيئة في القرآن الكريم:

عناصر البيئة المختلفة تشكل حلقات مترابطة يكمل بعضها الآخر، فلا غني لأي ...لوق عن الآخر، وهو نظام دقيق الإحكام.

والإخلال به يؤثر سلباً علي جميع المخلوقات والموجودات، والتوازن البيئي حقيقة ...رآنية قررت في الكتاب العزيز، قال تعالي: **(وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)**[2]، ...ل تعالي: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)**[3]، فلكل مخلوق وظيفة مقدرة له سلفاً، ...ن أصغر المخلوقات وتنتهي بأكبرها، كلها تسير وفق توازن بديع، ونظام محكم، ...تعالي: **(وخلق كل شيء فقدره تقديرا)**[4].

وقد ظهرت نظرية توازن البيئة الحديثة أو ما يسمي بالنظام البيئي أو ...كولوجي في الربع الأخير من هذا القرن نتيجة للتلوث الذي ظهرت آثاره الفظيعة ...ي الحيوان والنبات والأرض، والغلاف الجوي وامتدت لتصل الإنسان نفسه، في حين ...ا مذكورة في الكتاب العزيز قبل أربع مائة وألف سنة، قال تعالي: **(والسماء ...عها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان)**[5].

...ظر: - اللاجئون البيئيون - د. زين الدين عبد المقصود - مجلة البيئة، السنة الثالثة العدد - ٢١ - ...ص ١٢ - ١٣، إصدار جمعية حماية البيئة الكويتية - الإنسان والبيئة ص: ١٥٧.
...سورة الحجر، آية: ١٩.
...سورة القمر، آية: ٤٩.
...سورة الفرقان، آية: ٢.
...سورة الرحمن، آية: ٧ - ٨، انظر: حماية البيئة في الفقه الإسلامي ص: ٢٧٣.

وقد بينت علوم الغلاف الجوي المحيط بالأرض، أن الطبقات السبع المؤلف منها الغلاف الجوي، قائمة علي ميزان دقيق محكم، من وظائفه، حماية الأرض، قال تعالي: (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون)[1]، وقال تعالي: (والسقف المرفوع)[2]، وبسبب هذا السقف المحفوظ والذي يعبر عنه بالغلاف الجوي أمكن للحياة أن توجد علي وجه الأرض دون بقية كواكب النظام الشمسي، وفي إحدي طبقات هذا الغلاف الجوي يوجد غاز يسمي «الأوزون» وهو طبقة رقيقة جداً من الغاز يمنع الأشعة فوق البنفسجية من الوصول للأرض، وهي قاتلة للأحياء الأرضية، وقد سمعنا الضجة الكبيرة التي حصلت عندما اكتشف علماء بريطانيون أن كمية «غاز الأوزون» تنقص تدريجياً بين سنة وأخري، ولهذا فقد تداعت كثير من المؤسسات العلمية لمعرفة أسباب ذلك النقص، فكان السبب يكمن في أن الإنسان يبث غازاً يستعمله كمبرد في الثلاجات وأجهزة التكييف ومبيد للحشرات وغيرها، ويسمي «الفريون».

لذا قررت الدول الصناعية معالجة خفض إنتاج ذلك الغاز.

فالاخلال بميزان الكون هو السبب للدمار والتلوث، وقد أرشدنا المولي عز وجل بالنظر إلي هذه السموات السبع المتناسقة، في تكوينها ووظائفها واتجاهها، فكلها محكومة بناموس واحد، تتعاون في وظائفها لخدمة هذا الإنسان الذي كرمه الله تعالي[3]، قال تعالي: (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين)[4]، وقال تعالي: (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها)[5].

ومن أضرار الإخلال بالتوازن البيئي ما تنبه له علماء البيئة وهو ما عرف باسم «الأمطار الحمضية» التي تنزل بسبب تجمع غازات سامة في الغلاف الجوي نتيجة لما تنفثه معامل الإنسان الكيماوية، وعوادم السيارات، ومصادر توليد الطاقة، وغيرها،

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٢.
(٢) سورة الطور، آية: ٥.
(٣) انظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ١٥٠.
(٤) سورة المؤمنون، آية: ١٧، وانظر: تفسير المارودي: ٤/٤٩.
(٥) سورة النازعات، آية: ٢٧ - ٢٨، وانظر: تفسير البيضاوي: ٥/٤٤٨.

تظهبان الإنسان في الميزان الذي وصفه المولي في الغلاف الجوي تبدوا آثارها اليوم واضحة من خلال الأمطار الحمضية التي تدمر الثروة النباتية والحيوانية في مختلف البلدان الصناعية[1].

ومن المعلوم أن السماء هي محل الرزق، قال تعالي: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)[2].

فأخرج المولي من ذلك الماء النازل من السماء ثمرات مختلفاً ألوانها وأجناسها وأصنافها، من أجل الإنسان ورفاهيته فكيف يتسبب الإنسان في تدمير ذلك المصدر من الرزق[3].

وقال تعالي: (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)[4].

فالسماء زينة للناظرين، بصفاتها وكواكبها ونجومها، فلنحافظ علي هذه السماء نظيفة كي تبقي زينة للناظرين.

ثالثاً: البيئة البحرية في القرآن الكريم:

تغطي البحار والمحيطات نسبة ٧٢٪ من سطح الأرض، وورد في القرآن الكريم عدة آيات تتناول موضوع البيئة البحرية، وقد تنوع العرض والسياق عن البحر في القرآن الكريم، فيذكره مرة علي جهة الامتنان، وتارة علي سبيل الإعجاز، وأخري في الحث علي الكسب والرزق منه، فقال تعالي: (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[5].

فالخالق الواحد هو الذي يسر لكم وسهل لكم استخدام البحر لتجري فيه السفن بإذنه وقدرته حاملة أقواتكم ومتاجركم لتقوم بشئونكم المعيشية، ولتطلبوا رزق ربكم

(١) من علوم الأرض القرآنية، د. عدنان الشريف ص: ١٣٤.
(٢) سورة فاطر: آية ٢٧.
(٣) انظر: تفسير البيضاوي: ٤/٤١٧.
(٤) سورة الصافات: آية: ٦.
(٥) سورة الجاثية: آية: ١٢.

منه بالغوص للدر تارة والصيد تارة أخري[1].

والبحار هي منجم الأرض الحقيقي، ففيها الأملاح والكلس والكبريت وغيرها من المواد التي لا يستغني عنها الإنسان، علاوة علي النفط الموجود تحت قاعه، فالبيئة البحرية بمياهها وأحيائها وكنوزها ومواردها، هي مستقبل الأمن الغذائي للإنسان[2].

وقد طرأت علي البيئة البحرية مشاكل كبيرة، هددت استمرارية عطائها للإنسان، فمئات الأطنان من النفط ومشتقاته تتسرب إلي مياه البحار والمحيطات بأسباب مختلفة، وكميات كبيرة من نفايات المصانع تلقي في مياه البحار، ومياه الصرف غير المعالجة، والمبيدات الحشرية.

وسقوط الأمطار السوداء عالية الحموضة علي مياه البحار، كما شهدته منطقة الخليج والدول المجاورة لها أثناء حرائق آبار النفط الكويتية، كل ذلك يزيد من تعقيد المشكلة للبيئة البحرية[3].

فهذا البحر وما فيه مسخر لخدمة الإنسان والواجب عليه ألا يتعدي عليه بالتلويث والإفساد لأنه بذلك سيفقد وسيلة الانتفاع بهذه النعمة العظيمة، قال تعالي: **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا)**[4].

فالحمل في البحر إنما هو بتسخير النواميس، وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية، ولو لم تكن هذه النواميس موافقة للطبيعة البشرية لما قامت الحياة الإنسانية، فبقاؤها مرتبط بتوافق تلك النظم والقوانين الطبيعية بأمر الله عز وجل، قال تعالي: **(ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)**[5].

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٤٦/٢٥.
(٢) هندسة النظام البيني ص: ١٤٢.
(٣) قضايا بيئية معاصرة ص٢: ١٩٤، الإنسان وقضايا البيئة ص: ٢٠٥.
(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٠.
(٥) سورة لقمان، آية: ٣١.

فالبحر آية عظيمة ونعمة جليلة ينبغي المحافظة عليها، قال تعالي: **(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون)**[1]. ،قال تعالي: **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)**[2].

فكيف يكون البحر حلالاً إلا إذا كان صافياً نقياً نظيفاً، وإفساد هذا الماء يؤدي لحدوث خلل في نظامه التكويني، فتصبح المياه ضارة أو مؤذية[3].

ويذكر المراقبون للبيئة أن المدن المطلة علي سواحل البحر الأبيض المتوسط تلقي بمخلفاتها مسببة بذلك زيادة نسبة التلوث في البحر، فتسبب القضاء علي الثروة السمكية يوماً بعد يوم[4].

فالبحر مملوء بالموارد الغذائية التي تكفي الإنسانية مهما بلغت بشرط أن لا يأتي الإنسان بما ينافي توازن البحار والمحيطات، وذلك عن طريق تلويث المياه وإفسادها.

رابعاً: البيئة الزراعية في القرآن الكريم:

لعل الاكتفاء في الإنتاج الزراعي والغذائي يمثل أحد جوانب الأمن لأي دولة، وقد أشار القرآن الكريم إلي أهمية الزرع والزراعة، وبين أنها من الآيات العظيمة التي توجب علي الإنسان التفكر فيها، وعدم التهاون بها، بل وإيجاد السبل الكفيلة لتحقيقها، وإليك بعض الآيات في هذا الشأن.

١- قال تعالي: **(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)**[5]، فهذه الزروع والثمار

(١) سورة المائدة، آية: ٩٦.
(٢) سورة النحل، آية: ١٤.
(٣) الإنسان وقضايا البيئة ص: ٢٠٢.
(٤) الإنسان وقضايا البيئة ص: ٢٠٤، والإنسان والبيئة، ص: ١٢٠، هندسة النظام البيني ص: ١٦٠
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

جنات في الأرض، بساتين يحفها الشجر[1]، وهذه الزروع والبساتين مرتبطة بحق الله تعالي، بالتصدق والانفاق منها مع عدم الإسراف الذي فسره جمهور المفسرين بأن الزيادة في التصدق[2].

ولكن إذا نظرنا لمعني الإسراف عموماً وهو الخطأ أو المجاوزة عن القصد[3]، أدركنا مفهوماً عاماً شاملاً للمحافظة علي البيئة الزراعية، فالآية تشير إلي أن الله تعالي قد امتن علي عباده بهذه النعم المزروعة من البساتين المعروشة وغير المعروشة والنخل والزرع المختلف الأصناف والأنواع، فالواجب علي الإنسان المحافظة علي هذه الثروات عن طريق الاهتمام بزراعتها، واتخاذ الوسائل الكفيلة ببقائها وحمايتها حتي تبقي نعمة من قبل المولي عز وجل، ومخالفة ذلك يوقع الإنسان في دائرة السرف وهو الخطأ أو مجاوزة القصد والحد المشروع، فتوفير الزرع وتنميته أمن للمجتمع، قال تعالي حكاية عن قصة صالح مع قومه ثمود:

(أتتركون في ما هاهنا آمنين(١٤٦) في جنات وعيون(١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم)[4]، فذكر الأمن وأعقبه بإحدي صوره، وهي الأمن الغذائي المتمثل في الزرع والثمار وغيرهما، فالآية قاعدة عامة في المحافظة علي البيئة.

٢- وقال تعالي: **(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها علي بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)**[5].

في هذه الآية إشارة إلي حقيقة علمية بيئية، وهي أن من الأرض قطع مختلفة بعضها طيبة تنبت الزرع وبعضها سبخة، وبعضها رخوة، وبعضها صلبة وبعضها

(١) وجاء في معني معروشات عدة أقوال منها: أن المعروشات ما أنبته الناس، وغير المعروشات ما خرج من البراري والجبال من الثمار وقيل: معروشات ما انبسط علي وجه الأرض، وانتشر مما يعرش كالكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات: ما قام علي ساق كالنخل وغيرها، انظر: زاد المسير: ٩٢/٣ - البيضاوي: ٤٥٨/٢ - تفسير الرازي: ٢٢٢/١٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ٩٢/٣ - البيضاوي: ٤٥٨/٢.

(٣) المصباح المنير، ص: ٢٧٤.

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٤٦ - ١٤٨.

(٥) سورة الرعد، آية: ٤.

صالح للزرع وبعضها بالعكس[1]، كلها آيات وعلامات لقوم يعقلون، فيستعملون عقولهم بالتفكر، ويتفكرون في قدرة المولي عز وجل وفي المحافظة علي هذه النعم.

فحاجتنا إلي الورقة الخضراء متجددة في كل يوم.

ولم يستطع العلم بعد مئات السنين من التجارب والأبحاث وإنفاق الأموال الطائلة وبعد أن انقطع لهذه الأبحاث آلاف العلماء لم يتمكنوا من الوصول إلي ما تقوم به ورقة خضراء في نبات حي، فهذه الورقة تمتص أشعة الشمس وتخزنها وتبني بها حياتها، وبالرغم من أن الإنسان يعتمد في حياته علي الشمس التي تمده بالطاقة والتي تعتمد عليها كل مظاهر الحياة من حوله والتي بدونها لا تقوم حياته، فهي أساس الحياة النامية في كل حقل وغابة، وهي سبيل تكون الفحم والبترول وهي سبب المطر، وبالرغم من ذلك لم يستطع الإنسان أن يمتص أشعة الشمس ويخزنها لاستعمالها في حاجته سواء كان هذا التخزين داخل جسمه أو خارجه كما تفعل الورقة الخضراء، ويعترف العلم أن ذلك حلم صعب التحقيق إن لم يكن من المستحيل[2].

وقال تعالي: **(أولم يروا أنا نسوق الماء إلي الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)**[3].

فأرشدنا المولي عز وجل في هذه الآية إلي فوائد الأرض الطيبة المزروعة، وأنها من فيض عطاء الكريم المنان، فهل تفكر الإنسان بنعمة سوق الماء إلي الأرض اليابسة الجدباء التي لا نبات فيها، كي يخرج منها بعد ذلك الزرع الطيب الذي يأكل منه الأنعام والإنسان؟؟[4].

ومن المعلوم أن المساحات المزروعة هي مصدر أمان للبيئة البرية، ويعتقد علماء البيئة أن الاحتطاب الجائر للغابات وغير المدروس في سفوح جبال الهملايا في نيبال كان سبباً في حدوث فيضانات بنغلاديش، وهو السبب أيضاً في جرف حوال (٢٥٠)

(١) انظر: تفسير الرازي: ٧٨٩، البيضاوي: ٣١٧/٣.

(٢) انظر: آيات للمؤمنين د. محمد الصرايرة، ص: ٨٨.

(٣) سورة السجدة، آية: ٢٧.

(٤) انظر: تفسير الماوردي ٣٦٧/٤ - تفسير البيضاوي ٣٦٠/٤.

مليون طن من الطمي سنوياً إلي بنغلاديش نتيجة لتعرية التربة في سفوح الهملايا[1].

ومن المعلوم أيضاً أن الاحتطاب الجائر - وهو قطع لأشجار والشجيرات واستغلالها بمعدل يفوق قدراتها التجديدية أو التعويضية بما يؤثر سلباً علي رصيدها - هو أحد الأسباب الرئيسية للتصحر الذي تعاني منه كثير من الدول[2].

خامساً: البيئة البرية في القرآن الكريم:

أشار الله تعالي إلي عنصر مهم في حياة البشر، ألا وهو الأرض أو البر، مكان الأمان ومحل الإطمئنان، وقال تعالي: **(الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتي (٥٣) كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي (٥٤) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري)**[3].

فالأرض كلها مهد للبشر في كل مكان وزمان، مهد كمهد الطفل، وما البشر إلا أطفال هذه الأرض، يضمهم حضنها! وهي ممهدة للسير والحرث والزرع والحياة، جعلها الخالق المدبر كذلك يوم أعطي كل شيء خلقه، فأعطي هذه الأرض خلقها علي الهيئة التي خلقت بها صالحة للحياة التي قدرها فيها؛ وأعطي البشر خلقهم كذلك علي الهيئة التي خلقهم بها صالحين للحياة في هذه الأرض التي مهدها لهم وجعلها مهدهم.

والخالق المدبر الذي جعل الأرض مهداً، شق للبشر فيها طرقاً وأنزل من السماء الماء، الذي تتكون منه الأنهار وتفيض، ويخرج النبات أزواجاً من أجناس كثيرة، ثم بين مآل الإنسان فقال جل شأنه: **(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري)**.

فالإنسان مخلوق من مادة هذه الأرض، عناصر جسمه كلها من عناصرها

(١) انظر: الإنسان والبيئة ص: ١٣٩.
(٢) انظر: قضايا بيئية معاصرة ص: ٢٢٦.
(٣) سورة طه، آية: ٥٣ - ٥٥.

إجمالاً، ومن زرعها يأكل، ومن مائها يشرب، ومن هوائها يتنفس، وهو ابنها وهي له مهد، وإليها يعود جثة تطويها الأرض، ورفاتاً يختلط بترابها، وغازاً يختلط بهوائها، ومنها يبعث إلي الحياة الآخرة، كما خلق في النشأة الأولي[1].

فإذا كانت الأرض بما ذكر ووصف فهل يجوز للإنسان أن يجور عليها ويتعدي ويلوثها نمن تفكر في ذلك لا شك أنه سوف يحميها ويحافظ عليها لا سيما وقد صورت في القرآن الكريم أنها أم ومهد.

هذه بعض مظاهر البيئة كما صورها القرآن الكريم وإن كان الكلام يطول إذا أردنا الاستطراد ولكن فيما ذكر غني فإنه إشارة واضحة علي اهتمام القرآن الكريم سبقه لكل التشريعات في مجال البيئة.

ولننتقل إلي المبحث الخاص بتطرق السنة النبوية إلي البيئة وكيف أشارت إلي مجالاتها والمحافظة عليها.

المبحث الثالث

البيئة في السنة النبوية

لم تخل السنة النبوية الشريفة من إشارات إلي علم البيئة بمفهومها الحالي كعلم، قد تعددت صور التمثيل لها من عدة جوانب، فمنها:

أولاً البيئة الزراعية:

١- عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقة**»[2].

٢- وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم دخل علي أم مبشر

(١) انظر: في ظلال القرآن ٤/٢٣٣٩.
(٢) رواه البخاري في المزارعة حديث رقم (٢١٥٢) ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع حديث رقم (٢٩٠٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٢١٣.

الأنصارية في نخل لها فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم: «من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر؟ فقالت: بل مسلم، فقال: لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة» وعنه أيضاً قال: «سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: **«لا يغرس رجل مسلم غرساً ولا زرعاً فيأكل منه سبع أو طائر أو شيء إلا كان له فيه أجر»**، وقال ابن أبي خلف: طائر شيء»[1].

ففي هذه الأحاديث: الحث والتشجيع علي الزرع والغرس في الأرض الفضاء، بل جعل النبي صلي الله عليه وسلم ذلك من قبيل الطاعات التي يثاب عليها الإنسان يوم القيامة، ولا شك أن الزراعة من الوسائل التي تحمي البيئة، وتعالج الآثار الناجمة عن التصحر[2]، ولم يبدأ الإهتمام العالمي بمشكلة التصحر إلا في أغسطس عام ١٩٧٧م حين عقدت الأمم المتحدة مؤتمراً في نيروبي للاهتمام بمشكلة التصحر، وهي من المشاكل الكبيرة التي تواجه العالم، والوطن العربي خاصة، لأن أغلب أراضيه تقع في المناطق الجافة وشبه الجافة.

وقد نشرت الـ Unep في تقاريرها أن الفاقد السنوي في الإنتاج الزراعي العالمي نتيجة التصحر يقدر بما قيمته حوالي ٢٦ بليون دولار، مما يدل علي الخسارة التي يتكبدها العالم من جراء هذه المشكلة، ورغم أن مؤتمر نيروبي قد اتخذ عدة قرارات للحد من عملية التصحر إلا أن هذه الجهود للأسف لم تؤت ثمارها في مواجهة المشكلة بل إنها في تزايد مستمر[3].

والعلاج لذلك موجود في ثنايا الإرشادات النبوية المتعددة، ولم يتوقف الحث النبوي علي بيان فضل الزرع والغرس فحسب بل جعل الزرع من أسباب تملك الأراضي الخالية غير المملوكة، فقال عليه الصلاة والسلام: **«من أحيا أرضاً ميتة فهي له»**[4].

(١) رواه مسلم في كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع حديث رقم (٢٩٠٤)، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٢١٤).
(٢) الإنسان والبيئة ص: ١٣٩.
(٣) الإنسان وقضايا البيئة ص: ٢٦٣.
(٤) رواه الترمذي - سنن الترمذي في كتاب الأحكام باب ما ذكر في إحياء أرض الموات حديث رقم (١٣٩٩) (٣/٦٦٤) والدارمي في كتاب البيوع حديث رقم (٢٤٩٣).

والإحياء يكون بالزراعة وغيرها، ولا شك أنه دافع مادي يدفع الإنسان إلي الزراعة والقضاء علي كل الأراضي الفضاء في محيط المجتمع.

ثانياً: النظام البيئي:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «المسلمون شركاء في ثلاث، في الماء والكلأ والنار»[1].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «لا يمنع أحدكم فضل ماء، ليمنع به الكلأ»[2].

فالوسط الذي يعيش فيه الإنسان وما به من إمكانيات مشاعة هي ملك للجميع - هذا في غير المحرز منه أي المباح العام - والأمور المذكورة في الحديث هي العناصر الرئيسية في تكوين البيئة، فتشكل قوام الحياة، وهو مفهوم بيئي حديث يطرحه كثير من علماء البيئة الآن، ويعرف باسم «النظام الإيكولوجي» ويعني دراسة العلاقات بين عناصر البيئة الحية وغير الحية، بحيث تتفاعل بعضها مع بعض في نظام دقيق ليعتمد كل عنصر منها علي العناصر الأخري الموجودة في نفس المحيط.

وهذا هو السر في استمرارية الحياة، ولذلك يسمي النظام البيئي «بنظام إعالة الحياة»[3].

فاشتراك الناس في هذه الأمور الحيوية في تكوين البيئة هو نظام دقيق يسير عجلة الحياة، لتكون العلاقة بين الإنسان وبين غيره من الموجودات علاقة توافقيه تكاملية، ولهذا منع الرسول صلي الله عليه وسلم استئثار بعض الأفراد بأحد هذه الأمور الحيوية المكونة للبيئة.

يقول: أ. د: عبد الكريم سلامة: ويقرر المهتمون بشئون البيئة أن فكرة الملكية المشتركة للإنسان التي يراد من ورائها الحث علي صيانة الموارد الطبيعية وعدم

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الأحكام باب المسلمون شركاء حديث رقم (٢٤٦٣) (٢/٨٢٦).
(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الأحكام باب النهي عن منع فضل الماء حديث رقم (٢٤٦٩) (٢/٨٢٨).
(٣) الإنسان وقضايا البيئة ص: ١٣.

التعسف في استعمالها أو الجور عليها، هي فكرة حديثة نسبياً»[1].

في حين أن فكرة الملكية المشتركة للموارد الطبيعية للبيئة قد وجدت في الإسلام منذ مبعث الرسالة، قال تعالى: (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)[2].

فالعيش في فكرة الاشتراك بالموارد البيئية يدفع الإنسان للمحافظة علي تلك الموارد، ففي إهدارها تعطيل للمهمة التي أناطها الله تعالى بها فينتج عنه تعطيل للحياة علي وجه الأرض، وهذا مخالف لمقتضي المقاصد الرئيسية للشريعة الإسلامية[3].

ثالثاً: آداب بيئية عامة:

وردت عدة أحاديث عن المصطفي صلي الله عليه وسلم تبين اهتمام السنة بالبيئة ونظافتها وحمايتها، وقطع كل السبل لتلويثها، وأذكر هنا إشارة فقط ولنا عودة علي تفصيل ذلك في مبحث حماية الإسلام للبيئة، ومن تلك الإشارات ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «اتقوا اللعانين قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟، قال: الذي يتخلي في طريق الناس أو في ظلهم»[4].

فهذا الحديث يعدُ قانوناً في حماية البيئة وعدم تلويثها خصوصاً المكان الذي يطرقه الناس باستمرار.

وننتقل إلي أسلوب الإسلام لحماية البيئة، لنري كيف حمت الشريعة الإسلامية البيئة.

(١) حماية البيئة في الفقه الإسلامي ص: ٢٩٨.
(٢) سورة القمر، آية: ٢٨.
(٣) حماية البيئة، ص: ٣٠٢.
(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة باب النهي عن التخلي في الطرق حديث رقم (٣٩٧) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٦١) والمراد (يبتخلي): مأخوذ من الخلاء وهو الفضاء ثم استعمل لقضاء الحاجة لعلاقة المجاورة - المصباح ص: ١٨١.

المبحث الرابع

حماية الإسلام للبيئة

حماية البيئة هو اسلوب للتعامل مع البيئة يأخذ بالحسبان اتزانها ومحدودية مواردها حتي تبقي مأوي مريحاً للإنسان ولكل ما يدب علي وجه الأرض[1].

والإسلام لم يغفل عن وضع الضوابط العامة لهذا الأسلوب للتعامل مع البيئة، لكي يكفل حمايتها واستقرارها، بل سبق كل التشريعات في هذا المجال.

والإسلام في تعامله مع البيئة ينطلق من منطلقين:

المنطلق الأول: الثوابت والمباديء.

والمنطلق الثاني: المجالات البيئية.

وإليك بيان كل منهما.

المنطلق الأول: الثوابت والمباديء:

هناك ثوابت تشكل في مجموعها مجمل التصور الإسلامي الشامل، وهي الألوهية والكون والإنسان والحياة.

ويستند مفهوم الألوهية المتعلق بالبيئة - كأحد الثوابت - علي مبدأ التوافق والتناسق في العلاقة بين الخالق والمخلوق، فالإنسان خلق لعبادة الخالق سبحانه وتعالي، ولكي تسير حياة الإنسان لعبادة مولاه، سخر له جميع ما في السماوات والأرض، قال تعالى: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[2].

وقال تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[3].

(١) الإنسان والبيئة ص: ١٥١.
(٢) سورة الجاثية، آية: ١٣.
(٣) سورة النحل، آية: ١٢.

وأما الإنسان فهو أهم مقومات هذه المنظومة، فلقد كرم المولي عز وجل الإنسان ورفع شأنه، وفضله علي كثير من المخلوقات، قال تعالي: **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا)**[1].

ولهذا فقد أودع الله تعالي في الإنسان طاقات كامنة يستطيع أن يستخدمها ويسخرها لعمارة الأرض وإحيائها، وفي ذات الوقت قد يسخرها للإفساد والدمار، قال تعالي: **(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)**[2].

وأما الحياة، فهي السر العظيم، والمنة الكبيرة، التي جعلت الإنسان يحقق الخلافة في الأرض لعبادة الله، وإعمار الأرض التي يعيش عليها، قال تعالي: **(وإلي ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب)**[3].

فقوله تعالي: (واستعمركم فيها) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم، قاله مجاهد، من قولهم أعمر فلان فلاناً داره فهي له عمري.

الثاني: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار.

الثالث: أطال فيها أعماركم، وهؤلاء هم قوم صالح[4].

قال العلامة الألوسي رحمه الله: واستدل بالآية علي أن عمارة الأرض واجبة لهذا الطلب(٥).

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٠.
(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٣) سورة هود، آية: ٦١.
(٤) انظر: تفسير الماوردي (٢/٤٨٩).
(٣) روح المعاني للألوسي (١٢/٨٨).

وقسم صاحب الكشاف العمارة إلي أربعة أقسام: واجبة، كعمارة القناطر اللازمة، والمسجد الجامع، وإلي مندوبة، كعمارة المساجد، وإلي مباحة كعمارة المنازل، وإلي محرمة، كعمارة الحانات وما يبتني للمباهاة أو من مال حرام[1].

وبعد بيان هذه الثوابت بين لنا الإسلام المباديء التي توظف هذه الثوابت لما يخدم البشرية، بل الكون أجمع، وهي مباديء عامة للمحافظة علي البيئة، ومن هذه المباديء:

أولاً: الدعوة إلي النظر والتفكر في هذا الكون:

هذا الكون وما فيه من مخلوقات حية وجامدة، هي كمال الصنع الإلهي والإبداع الرباني، قال تعالي: **(أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت (١٧) وإلي السماء كيف رفعت(١٨) وإلي الجبال كيف نصبت(١٩) وإلي الأرض كيف سطحت(٢٠))**[2].

فدعا الخالق الإنسان للنظر في هذا الكون لحكم عديدة، ليعرف كيفية خلق الأشياء، والإعجاز والإتقان في صنعها، فيكون النظر دافعاً له للمحافظة علي هذه النعم العظيمة، فلا يدمرها ولا يجور عليها.

ثانياً: معرفة ما ينفع الإنسان في هذا الكون:

فالموجودات في هذا الكون من أرض وسماء وشجر ونبات، نعم عظيمة تعود علي الإنسان بالنفع العظيم، فيجب الحرص علي كل ما ينفع، واجتناب ما يضر، قال تعالي: **(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون(٩٧) وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون(٩٨) وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلي ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)**[3].

(١) الكشاف للزمخشري (٢/٣٩١).
(٢) سورة الغاشية، آية: ١٦ - ٢٠.
(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٧ - ٩٩.

فالكون وما فيه مسخر لمنفعة الإنسان، فهل يعقل أن يسعي الإنسان لتدمير ما له مسخر من قبل الخالق جل وعلا؟ والذي يعي هذا المبدأ لن يجور علي زرع أو بحر أو حيوان أو بر، فالإنسان هو الوصي علي هذه البيئة، وهي أمانة بيده، وسيحاسب عن سوء استخدامه لهذه الأمانة إن أساء استخدامها.

ثالثاً: مبدأ الحلال والحرام:

والحرام يتضمن كل ما من شأنه أن يضر بالبيئة، ويدمر استقرارها.

قال تعالي: **(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)**[1].

فقدم المولي عز وجل الإفساد في الأرض علي سفك الدماء، للتنبيه علي أن الذي يلوث البيئة يسهل عليه سفك الدماء، لأن الثاني من مستلزمات الأول.

ولينبه أيضاً إلي أن تلوث البيئة مهلك كالقتل بل أعظم خطراً منه، لأن القتل فيه إزهاق لروح أو اثنتين أو ثلاث، أما من يلوث البيئة فهو يعرض الآلاف والملايين للقتل البطيء بسبب ما ينتج عنه من الأمراض المزمنة وغيرها من الأوبئة المهلكة للملايين من البشر، والزروع والثمار والحيوان[2].

قال تعالي: **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)**[3].

وما دام البشر يحترمون عقولهم.. فستبقي خلافتهم في الأرض قائمة.. فإذا خرجوا عن المنهج.. وأساءوا استخدام العقل.... وأفسدوا في النظام البيئي حقت عليهم كلمة الله.. وأصابهم الدمار... **(وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون)**[4][5].

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٢) انظر: تلوث البيئة . محمد رشوان ص:٤٨.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.
(٤) سورة هود، آية: ١١٧.
(٥) انظر: هندسة النظام البيئي ص: ١٣.

رابعاً: خطورة تلوث البيئة:

نبه القرآن الكريم إلي أهمية المحافظة علي نظافة البيئة، وبيّن عواقب التلوث الخطيرة، وما يترتب عليه من إخلال للتوازن البيئي، وإهلاك للحرث والنسل، قال تعالي: **(وإذا تولي سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)**[1].

ويلخص القرآن الكريم ظاهرة التلوث بقوله تعالي: **(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون(٤١) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين)**[2].

وفي ذلك يكشف الله للناس عن ارتباط أحوال الحياة والتوازن البيئي في البر والبحر بأعمالهم التي اقترفتها أيديهم.. وأن فساد القلوب والعقيدة وراء ذلك، وتدعوهم الآية إلي التعقل لعلهم يرجعون إلي منهج الله في استخدام الأرض والعمل علي عمارتها.. ويحذرنا الله من أن يصيبنا ما أصاب الأمم السابقة عندما خالفت أوامر الله ومنها إساءتها لاستخدام البيئة وعمارتها للأرض.

والنتيجة حتما لا تشجع أحداً علي سلوك ذلك الطريق، طريق الفساد في الأرض...[3].

ومن أهم مظاهر الفساد: عدم إنبات بعض الأراضي، وقلة مياه العيون، وقحط المطر[4]، وما ذاك إلا بسبب طغيان الإنسان، وتجاوزه لحدوده.

قال السدي: بما عملوا من المعاصي واكتسبوا من الخطايا[5].

وقد ذكر الرازي والماوردي وغيرهما - آراء السلف الصالح حول الفساد في الأرض وتدمير التوازن البيئي وهي تدور حول تفسير الفساد بارتكاب المعاصي.. أو

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٥.
(٢) سورة الروم، آية: ٤١ - ٤٢.
(٣) انظر: هندسة النظام البيئي ص: ١٤.
(٤) انظر: تفسير الرازي (١٢٨/٣ - ١٢٩) - والماوردي (٣١٧/٤).
(٥) انظر: تفسير الماوردي (٣١٨/٤) - البيضاوي (٣٣٨/٤).

انتشار الظلم... أو قلة المطر وتأثير ذلك علي النباتات والأحياء... إلا أن عظمة القرآن وإعجازه تتبين من أنه نزل ليخاطب عقول البشر في كل زمان ومكان... بحيث يتسع مدلول الفساد في الأرض ليشمل كل صور الإخلال بالتوازن البيئي بسبب سوء استخدام الإنسان لموارد الأرض الصخرية والمائية والهوائية والنباتية والحيوانية[1].

فأي إخلال بهذا التوازن البيئي يؤدي إلي الفساد، والله لا يحب الفساد.

خامساً: الإنتماء إلي البيئة:

قال تعالي: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري)[2]، فالأرض هي مستقر الإنسان ومستودعه وبيئته، منها خلق وعليها يعيش وفيها يدفن، فالعلاقة مستمرة منذ نشأة الإنسان إلي أن يموت، فهي كالأم بالنسبة للإنسان.

قال تعالي: (ألم نجعل الأرض كفاتاً (٢٥) أحياء وأمواتاً)[3].

فالأرض مكان ضم الإنسان، وقبضه، وسيره ووعائه، وموضعه وبيئته، فالأرض وعاء للأحياء والأموات مهما بلغ عددهم[4].

فإذا كانت الأرض علي ما ذكر، أفلا تستحق الرعاية من قبل الإنسان؟

فهذه مجموعة من المباديء الأخلاقية والإيمانية تكون إطاراً عاماً، ومنهجاً خلقياً يوجه سلوك البشر، لاتخاذ السبل الكفيلة لحماية بيئتهم بشكل عام.

المنطلق الثاني: المجالات:

مجالات البيئة يمكن أن تحدد بمجالين يتفرع منهما عدة أمور:

الأول: مجال البيئة البشرية أو الإنسانية: **والثاني:** مجال البيئة الطبيعية[5].

وإليك بيان كل منهما:

(١) هندسة النظام البيئي ص: ١٥.
(٢) سورة طه، آية: ٥٥.
(٣) سورة المرسلات، آية: ٢٥ - ٢٦.
(٤) من علوم الأرض القرآنية، ص: ١٣٩.
(٥) الإنسان والبيئة، ص: ٢٠٧.

المجال الأول: البيئة البشرية: ونقصد بها الإنسان نفسه.

والشريعة الإسلامية نظرت إلي حماية البيئة البشرية من زاويتين:

الأولي: الجانب الجسدي الجثماني.

الثانية: الروحي والنفسي، فحثت الشريعة الإسلامية علي المحافظة علي نظافة البيئة الجسمية بشقيها، النفسي والمادي.

ففي الجانب النفسي: أوصي الباري عز وجل الإنسان بالمحافظة علي تطهير نفسه وتزكيتها من كل ما يشوبها ويعكر صفوها وشفافيتها.

قال تعالي: (قد أفلح من زكاها (٩) وقد خاب من دساها)[1].

فبصفاء النفس صفاء الجسد، والارتفاع عن التعلق بأدران الأرض، فإذا ما تحررت نفس الإنسان من قيودها المادية والأرضية، وخلصت في توجهها إلي ربها بصفاء وصدق، ذهبت عنها كل الشوائب والأقذار التي تسبب التلوث لها.

والإسلام جاء ليحرر النفس البشرية، ويطهرها أو يبعدها من التلوث المادي عن طريق منعها من عبادة أحد غير الله عز وجل، ومن عصيان الخالق الحق، فإذا تحرر الإنسان من ذلك كله، اتصل شخصه الضعيف الفاني بقوة الأزل والأبد، فيستمد منه القوة والعزة والطهارة، وإذا كانت نظافة النفس وطهارتها مطلوبة شرعاً فكيف بنظافة البيئة؟ فنظافة البيئة لا تقل أهمية عن طهارة النفس.

وأما الجانب المادي: فقد اعتنت الشريعة الإسلامية بنظافة وحماية الجانب المادي في الإنسان، فشرعت له تشريعات تكفل نظافته، بل جعلت النظافة شرطاً في صحة بعض العبادات.

ووضعت آداباً عامة، تمنع عنه كل مظهر من مظاهر التلوث التي قد تجلب إليه الأمراض والأوبئة، ومن ذلك ما يلي:

١- الوضوء: وهو من الوضاءة وهي النضارة والنظافة والحسن[2].

(١) سورة الشمس، آية: ٩ - ١٠.
(٢) انظر المصباح، ص: ٦٦٣ - المغرب ص: ٤٨٧.

ولا شك أن الوضوء الشرعي من مظاهر النظافة الذي يعود بدوره علي نظافة البيئة الجسمية للإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هي يبقي من دونه شيء؟، قالوا: لا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا**»[1].

بل جاء معني النظافة مؤكداً بقول الرسول صلي الله عليه وسلم: «**الطهور شطر الإيمان**»[2]، فالنظافة نصف الإيمان، وهي داخلة في صلب الدين.

٢- سنن الفطرة: (فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم**[3]**، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص**[4] **الماء والمضمضة**»[5].

المتتبع لمفردات هذا الحديث الشريف، يجد أن الشريعة الإسلامية لم تترك مكاناً في جسم الإنسان عرضة للتلوث، بل حثت علي النظافة وحماية الجسد في كل لحظة، وهذه هي سمات المحافظة علي البيئة البشرية للمسلم.

٣- الثياب البيض: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «**البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم**»[6].

هذا الحديث يبين اهتمام الإسلام بملبس الإنسان المسلم ومدي حرصه صلي الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلوات الخمس كفارة - (١١/٢) - حديث رقم (٥٢٨) وأخرجه مسلم - في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات - (٤٦٢/١ - ٤٦٣) حديث رقم (٦٦٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء - (٢٠٣) - حديث رقم (٢٢٣).
(٣) البراجم: رؤوس السلاميات من ظهر الكف، إذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت - المصباح ص: ٤٢.
(٤) والمراد بانتقاص الماء هو الاستنجاء.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الطهارة - باب خصال الفطرة - (٢٢٣/١) - حديث رقم (٢٦١).
(٦) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطب - باب في الأمر بالكحل - (٨/٤) - حديث رقم (٣٨٧٨).

عليه وسلم علي نقاء ملبسه ونظافته وطهارته لأن الثوب الأبيض لا يخفي أقل تلوث وأدني نجاسة فيضطر لابسه لتفقده وتتبعه بالنظافة والطهارة في كل لحظة فضلاً عن أن الثياب البيض باعثة علي البهجة والسرور[1].

قال تعالي: (**وثيابك فطهر**)[2].

والطهارة هي الحالة المناسبة للقيام بالأعمال الدينية ولهذا فمن شروط صحة الصلاة، طهارة البدن والثوب والمكان الذي يصلي فيه الإنسان[3] وطهارة الثياب في العربية تأتي أيضاً كناية عن طهارة القلب والخلق والعمل[4]، وجاء الأمر بطهارة الذات التي تحتويها الثياب وكل ما يلم بها أو يمسها.

فإذا كان تطهير القلب مطلوباً فالثياب علي سواء لأن الذي لا يُري ولا يشاهد مطلوب نظافته فكيف بما يري!!

٤- نظافة الأواني: لم تغفل الشريعة الإسلامية عن موضوع الأواني، لارتباطها الوثيق بصحة وسلامة الإنسان، لهذا حرصت الشريعة الإسلامية علي نظافة الآنية، حرصاً منها علي حماية البيئة البشرية الجسدية للإنسان، فوردت عدة أحاديث علي لسان النبي صلي الله عليه وسلم، تعلن الحرب علي التلوث ومكافحته، منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**طُهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب**»[5].

ومنها أيضاً ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: «**غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء**»[6].

(١) تلوث البيئة ص: ٢٠.
(٢) سورة المدثر، آية: ٤.
(٣) انظر الاختيار (٥٩/١) - حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير (٢١٧/١)، مغني المحتاج (١٨٨/١) - كشاف القناع (٢٨٨/١).
(٤) أساس البلاغة ص: ٧٨.
(٥) رواه مسلم في كتاب الطهارة حديث رقم (٩١) - (٢٣٤/١).
(٦) رواه مسلم في كتاب الأشربة - انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٨٦/١٣).

فالحديث يبين الأسلوب الأمثل للنظافة، وهي تغطية الأواني، حفظاً من الأوبئة، والوباء هو كل مرض عام[1]، ولسنا بصدد مناقشة تعيين تلك الليلة التي ذكرت في الحديث، ولكننا نأخذ مفهوماً عاماً، وقاعدة مضطردة وهي، حفظ الأواني ونظافتها لسلامة وحماية البيئة البشرية للإنسان.

ومنها أيضاً، تلك الآداب الكثيرة التي جاءت في الطعام، فمنها عدم التنفس أثناء الشرب داخل الإناء، وكراهية الشرب من فم الإناء ونحوه، وعدم الشرب من جهة الشق في الإناء إن كان مشقوقاً، وغيرها كثير يطلب من كتب الفقه وأدلته[2]، لكننا نستخلص من مجموعها، أن الشريعة الإسلامية وضعت ضوابط عامة، ترمي وتهدف للمحافظة علي البيئة البشرية، وحمايتها من كل ما يهدد سلامتها، وصحتها.

المجال الثاني: البيئة الطبيعية:

والمراد بالبيئة الطبيعية هي كل ما يحيط بالإنسان من أرض وسماء وما فيهما، وقد وضعت الشريعة الإسلامية خطوات عملية للمحافظة علي البيئة وحمايتها من جميع أنواع المشكلات البيئية، ولا شك أن مشكلات البيئة بمعناها الشامل، هي مجموعة الظروف الناتجة عن تأثير عوامل سلبية المفعول في النظام البيئي، مما يؤدي إلي تردي نوعيه النظام وإضراره بأشكال الحياة المختلفة، وتختلف مشكلات البيئة من حيث نوعها وعمقها من جهة إلي أخري علي حسب الموقع الجغرافي أو المستوي الحضاري لتلك البقعة.

ولنأخذ بعض هذه المشكلات، لنري كيف عالجتها الشريعة الإسلامية من احية بيئية.

اولاً: مشكلة التلوث:[3] مع بداية الثورة الصناعية والتقدم العلمي ظهرت

(١) المصباح (٦٤٦).
(٢) انظر: -فتح العلام بشرح الإعلام للشيخ زكريا الأنصاري (٦٠) - نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار للشوكاني (٦٦/١).
(٣) المراد بمشكلة التلوث: هو حدوث تغير أو إفساد لخصائص عناصر المنظومة البيئية حيث تتحول هذه العناصر من عناصر مفيدة إلي عناصر ضارة تفقد المنظومة البيئية معها القدرة علي إعالة الحياة - أنظر: قضايا بيئية معاصرة ص: (١٣٢) حماية البيئة في الفقه الإسلامي ص: (٢٧٥).

مشكلة التلوث، حتي غدت اليوم تعد من أكبر مشكلات العصر، وقد وضعت الشريعة الإسلامية بعض المباديء العامة لمعالجة مثل هذه الظاهرة، وقد سبق الكلام عن أهم هذه المباديء، وهنا نتطرق للخطوات العملية للتعامل مع ظاهرة التلوث، وكيفية الوقاية من هذه المشكلة.

١- النهي عن تلويث البيئة:

أ- البيئة المائية:

فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم «أنه نهي أن يبال في الماء الراكد»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «**لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه**»[2].

فهذه إرشادات نبوية تحمي المياه من التلوث، فالحديث فيه نهي عن التبول في الماء الراكد الذي لا يجري، والنهي يفيد التحريم كما هو مقرر في علم الأصول[3]، وإنما جاء النهي خشية تلويث الماء وتنجيسه وإتلاف ماليته، والتلويث والتنجيس والإتلاف أمور محرمة في الشريعة الإسلامية.

ومبالغة في الحماية، كره الفقهاء البول والتغوط بقرب الماء، وإن لم يصل إليه لعموم النهي[4].

وهذه الأحاديث تبين بعد النظر النبوي لمستقبل الأجيال وحماية البيئة المائية التي يستقون منها مواردهم، ولا يقتصر النهي عن تلويث المياه بالبول والغائط فقط، وإنما يشمل كل أنواع التلويث من مياه صرف غير معالج، ومبيدات حشرية، ومواد كيماوية وغيرها.

وتتعالي الصرخات اليوم لتنادي بحماية البيئة المائية من هذه الملوثات، وكل

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم حديث رقم (٢٣٩) (٣٤٦/١).
(٢) رواه البخاري في كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم (٣٤٦/١) - ومسلم (١٨٧/٢).
(٣) انظر شرح مختصر الروضة للطوفي (٤٣٠/٢).
(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٨/٢).

ذلك حصل بفعل الإنسان لما ألقي الأوساخ والأقذار في البحار والأنهار والمحيطات فنجّس الماء الطهور الذي أنزله الله عز وجل علي أصل خلقته طهوراً[1].

قال تعالي: (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً)[2].

فتلويث البيئة المائية أمر محرم في الشريعة الإسلامية علي تفصيل مذكور في كتب الأحكام، فمن يمتثل لأحكام الشريعة سوف يحافظ علي بيئته المائية نظيفة نقية خالية من الشوائب والملوثات.

ب- البيئة البرية:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «اتقوا اللعانين قالوا وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلي في طريق الناس أو في ظلهم»[3].

لا توجد جريمة بحق البيئة أعظم من التلويث ولهذا وصف النبي صلي الله عليه وسلم فعل التلويث باللعن، وسبب ذلك الوصف الشنيع هو أن الذي يقضي حاجته في طريق الناس أو في ظلهم وأماكن تجمعهم جالب لنفسه لعن الناس له، وحاملهم عليه وذلك أن من فعلهما - وهما البول والغائط - شُتم ولُعن، وعادة الناس أن تلعن من يلوث طرقها وأماكن تجمعاتها فلما صارا سبباً لذلك أضيف اللعن إليهما، وقد يكون اللاعن بمعني الملعون، والملاعن هي مواضع اللعن فيكون التقدير اتقوا واجتنبوا الأمرين الملعون فاعلهما[4]. وعلي كلا التقديرين فكلا الفعلين أمر مستهجن منبوذ شرعاً.

---

(١) انظر: أثر التلوث النفطي علي البيئة البحرية د. رفعت مصطفي علي ص: (٢٢) - بحث قُدم لندوة البيئة البحرية - جامعة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) سورة الفرقان آية: (٤٨) - وذكر ناطق باسم جمعية السلام الأخضر التي تكافح التلوث البيئي أن نسبة التلوث في حوض البحر الأبيض المتوسط ارتفعت بشكل خطير خلال السنوات الخمس الماضية، وحذر من أن يكون مصير البحر الأبيض المتوسط هو نفسه مصير البحر الأسود الذي أصبح في عداد البحيرة شبه معدومة. انظر: جريدة الأنباء الكويتية - العدد - ٧٩٨٧ - ١٩٩٨/٨/١١م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الطهارة - باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال - (٢٦٩/٦٩) - حديث رقم (٢٦٩).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٦٩/٣).

يقول د. محمد رشوان: ويأتي هذا النهي في المجتمع الإسلامي الأول بالرغم من أن المسلمين في الصدر الأول كانوا يعيشون في الصحراء فيسكنون الخيام حول آبار الماء لا مرافق لهم، ولا طرق ممهدة، والخلاء لا نهاية له فمهما تغوطوا وتبولوا في أي مكان في الخلاء فلا ضرر، لأن الأرض رملية صحراوية جرداء غير مسكونة أو آهلة بالسكان، فطبيعة الأرض وعوامل التعرية تواري كل مخالفاتهم، وتمتصها تماماً، بكل يسر ومع ذلك نهاهم صلي الله عليه وسلم أن يتغوطوا في طريق الناس أو ظلهم حتي مهما هذا العدد اليسير الذي يسكن تلك البيئة آنذاك من أضرار التلوث غير المخيف.

وحتي يعلم الأجيال القادمة بعد أن يزداد العدد وتكتظ البيئة بالسكان أن يحفظوا طريقهم نظيفاً، ومرافقهم نظيفة، وبيئاتهم غير ملوثة بالتلوث المخيف لأنه سهل علي المسلم الذي منع من تلويث الصحراء الجرداء أن يعني بنظافة بيئته الموجودة في مساحتها، المتصلة في مساكنها وطرقها، لأن ضرر التلوث يكون فيها أقوى، إذا كان الرسول صلي الله عليه وسلم قد نهي عن العمل القبيح منذ أربعة عشر قرناً من الزمان تجنبا للتلوث مع أنه كان بعيد الوقوع في الزمن الغابر فما بال المسلمين في هذه الأيام يتغوطون ويتبولون في الطرقات بعد أن مهدت ورصفت بطبقة من القص المخلفات، وتحت الجُسُور داخل الأنفاق، وفي أماكن انتظار الناس وظلهم حتي تراكمت القاذورات وتعفنت وتحللت واصبحت بؤرا للأمراض والأوبئة[1].

الحث علي نظافة البيئة وحمايتها:

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: دلني علي عمل يدخلني الجنة قال: «أمط الأذي عن طريق الناس»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «مر رجل

---

(١) انظر: تلوث البيئة ص: (٧٠) - بتصرف يسير.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل إزالة الأذي عن الطريق - (٢٠٢١/٢٠٢٢) حديث رقم (٢٦١٨).

بشوك في الطريق، فقال: لأميطن هذا الشوك، لا يضر رجلاً مسلماً، فغفر له»[1]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله ليه وسلم «**عُرضت علي أعمال أمتي - حسنها وسيئها - فوجدت في محاسن أعمالها أن الأذي يماط عن الطريق، ووجدت في مساوىء أعمالها النخامة في المسجد لا تدفن**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذي عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[3].

يقول د. محمد رشوان: فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم رفع الأذي (قذراً وحجراً) من الطريق أي طريق الناس من شعب الإيمان، وانظر إلي هذه اللفتة الكريمة الحكيمة في الحديث الشريف حيث اكتفي بذكر أعلي شعب الإيمان وأدناها ثم أردف بذكر الحياء، وكأنه صلي الله عليه وسلم يقصد أن يقول إن الحياء وسط بين أعلي الشعب وأدناها، أو أنه لا يفارق المؤمن أبداً سواء زاد إيمانه أو نقص.

ولعلك تعلم أن قول «لا إله إلا الله» هو رمز العقيدة الصحيحة، وأن إماطة الأذي رمز المعاملة مع الناس والبيئة، فكأن الرسول صلي الله عليه وسلم ذكر الشعبة المختصة بالعقيدة والشعبة المختصة بالمعاملة الحسنة، ثم ذكر لازمه وهو الحياء.

ولكن تأمل في تحديد رمز المعاملة بإماطة الأذي من الطريق تتبين أنه تنبيه إلي أن نظافة البيئة وطهارتها واجب إيماني وعقدي لأنه محافظة علي البيئة التي هي محل خلافة الإنسان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب فضل التهجير إلي الظهر - (١٣٩/٢) - حديث رقم (٦٥٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل إزالة الأذي عن الطريق - (٢٠٢١/٤) - حديث رقم (١٩١٤)، بلفظ «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك علي الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له».

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن البصاق في المسجد حديث رقم (٥٥٣) - انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤٢/٥).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان حديث رقم (٥٧) - انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٤٢/٥).

ثم إن إماطة الأذي عن الطريق ليس فيه رفع الأذي عن إنسان بعينه وإنما هو رفعه عن جميع الناس بلا استثناء، فكأن هذا العمل ليس الغرض منه إرضاء أحد بعينه أو التودد لأحد بعينه، فليس هذا كمن يمسح الغبار عن عباءة فلان لغرض ما في نفسه.

لأن الإفساد في البيئة مهلكة أيضاً للجميع بلا استثناء، فكأن الذي يميط الأذي عن الطريق يتسبب في إسعاد الجميع فضلاً عن أنه أخلص في عمله ولا رياء، فما أحوج الناس إلي الحياء الفطري الذي لا يكتسب، الحياء الذي جبلوا عليه منذ بدء خلقتهم، فالحياء محل إدراك الزين والشين، وما يرضي وما لا يرضي، بل هو محل إدراك الحلال والحرام. إن الحياء هو الحياة بعينها، بل هو أسمي من الحياة[1].

وإذا كان الدكتور محمد رشوان قد عدّ ذلك من الحياء، فإني أعدّه من الرحمة، والرحمة بالناس، والرحمة بالبيئة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[2].

ويقول النبي صلي الله عليه وسلم: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[3].

فالمحافظة علي البيئة إنما هي رحمة بالناس ورحمة بالدواب ورحمة بالمجتمع بأسره.

ثانياً: مشكلة التصحر:

مشكلة التصحر أصبحت من القضايا البيئية الملحة في عالمنا المعاصر، وبصفة خاصة في البيئات الجافة،والتصحر هو أحد أشكال التدهور الشامل الذي يطرأ علي البيئة في منطقة ما بفعل جملة من العوامل المتداخلة مع بعضها، ينتج عنه تعرية

(١) انظر: تلوث البيئة ص: (٦٥ - ٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب في الرحمة - (٣٨٦/٤) - حديث رقم (٤٩٤٢)، وأخرجه الترمذي في سننه - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في رحمة المسلمين - (٣٢٣/٤) - حديث رقم (١٩٢٣) - وقال الترمذي حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب قول الله تبارك وتعالي (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسني) - (٣٥٨/١٣) - حديث رقم (٧٣٧٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الفضائل - باب رحمته صلي الله عليه وسلم الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك - (١٨٠٩/٤) - حديث رقم (٢٣١٩).

التربة مما يؤثر سلباً علي النظام الإيكولوجي - ومفهومه هو أن كل عنصر من عناصر البيئة له دور هام يكمل به دور العنصر الآخر - [1].

ويكاد يتفق علماء البيئة علي أن أهم أسباب التصحر، هو عدم الإهتمام بالمساحات الزراعية.

وقد وضعت الشريعة الإسلامية توجيهات عامة ومرغبات كثيرة من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، تبين فيها فضل الزراعة والغرس، وبيان أهمية الزراعة لكل من يعيش علي هذه الأرض، ففي الزرع استمرار تدفق الغذاء لعموم الخلائق، وفي الزرع استمرار انتاج الأوكسجين، قال تعالي: **(الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون)** [2].

فغاز الأوكسجين الذي يدخل في تركيب الهواء بنسبة ٢١٪ عامل أساسي وضروري في كل احتراق وفي توليد النار، والشجر الأخضر من خلال مادة الكلوروفيل أو اليخضور - التي تعطي اللون الأخضر للنبات - هو الذي يولد الأوكسجين في الهواء بواسطة عملية التمثيل اليخضوري ويجدده، فالشجر الأخضر يأخذ خلال النهار من الهواء ثاني أكسيد الالكربون ويحلله إلي العناصر المكون لها: الأوكسجين الذي يطرحه خارجاً، والكربون الذي يحتفظ به في داخله لتكوين أنسجته، وعملية التنفس هذه عند النبات، لم يعرفها العلم إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

والحيوان، خلافاً للنبات، يأخذ من الهواء خلال عملية التنفس غاز الأوكسجين وهو عنصر ضروري في كل عمليات الإحتراق الكيماويه التي تحصل داخل الخلايا الحيوانية، ولولا النبات الأخضر لما أمكن للحياة أن تظهر في كوكب الأرض، فأولي مظاهر الحياة فيها كانت بظهور الطحالب الخضراء في الماء منذ ثلاثة مليارات سنة ونيف [3].

(١) البيئة والتنمية المستديمة د. عبد الله رمضان الكندري ص: (٣٨٧) - الكويت الطبعة الأولي ١٩٩٢م.
(٢) سورة يس، آية: (٨٠).
(٣) انظر: من علوم الأرض القرآنية ص: (١٤٥).

ففي الحث علي الزرع والغرس معالجة مباشرة لمشكلة التصحر، وإليك أيها القاريء الكريم بعض الأمثلة علي هذه المرغبات والتوجيهات.

فعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «**ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سُرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه** [1] **أحد إلا كان له صدقة**» [2].

والناظر إلي هذا الحديث يصل لنتيجة واحدة، وهي أن الإسلام قد شن حرباً علي المساحات الخالية، وذلك عن طريق زراعتها وإعمارها، إذ جعل الغرس والزرع من أمور القربات التي يؤجر عليها الإنسان عندما ينتفع أي مخلوق بهذا الزرع، ولا شك أن الزرع هو عصب الحياة الأرضية، وعليه قوامها للإنسان وغيره، وفضل الزرع وأجر الزارع مستمر مادام الزرع والغرس وما تولد منه باقياً إلي يوم القيامة، بل عد بعض الفقهاء أن الزراعة هي أفضل المكاسب [3].

ولهذا جاءت الأحاديث متعاضدة تبين فضل الغرس والزرع حتي عند نهاية الحياة الأرضية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتي يغرسها فليغرسها**» [4].

فالأرض الخضراء هي صورة من صور الإمتنان الرباني، قال تعالي: **(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون)** [5]، فالصحراء أرض ميتة،

(١) أي ينقصه ويأخذ منه - شرح مسلم للنووي (٢١٣/٥).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الحرث والمزارعة - باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه - (٣/٥) - حديث رقم (٢٣٢٠) وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب المساقاة - باب فضل الغرس والزرع - (١١٨٨/٣) - حديث رقم (١٥٥٢).
(٣) شرح مسلم للنووي (٢١٣/٥).
(٤) أخرجه البخاري - في الأدب المفرد - باب اصطناع المال - (ص: ١٦٨ - ١٦٩) - حديث رقم (٤٧٩)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - مسند أنس بن مالك - (١٨٣/٣ - ١٨٤ - ١٩١).
(٥) سورة يس، آية: (٣٣).

وإحياؤها بزراعتها وعمارتها، بل أضاف الرسول صلي الله عليه وسلم أمراً مادياً مشجعاً علي الزراعة وإحياء الأرض الموات، فقال: «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له**»[1].

وعقد الفقهاء باباً مستقلاً ذكروا فيه أحكام إحياء الأرض الموات وبينوا طرقه وجزئياته[2].

فلو عمل كل إنسان علي إحياء الأرض بالزراعة وعمارتها بدافع ديني وعقدي، فهل نحتاج إلي عقد مؤتمرات لمناقشة أخطار مشاكل التصحر وأثرها علي البيئة والحياة البشرية؟؟.

قال تعالي: (**وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون**)[3]، والإصلاح بالعمل، والإصلاح بالقول، والإصلاح بالمحافظة علي البيئة قال تعالي: (**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**)[4].

ثالثاً: مشكلة الغذاء:

أ- الغذاء هو عنصر مهم لاستمرار الحياة علي هذه الأرض لكل كائن حي، وقد أرشد الرسول صلي الله عليه وسلم إلي الاهتمام بقضية الغذاء، وضرب صورة من صور المحافظة علي نوع من أنواع الغذاء، وهو الغذاء الحيواني بالنسبة للإنسان فعن أنس رضي الله عنه قال: نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم أن تصبر البهائم[5]، أي تحبس وهي حيه لتقتل بالرمي ونحوه.

ب- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «لا

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: فتح باب العناية بشرح النقاية لنور الدين الهروي القري (٥٥٧/٢) - اللباب بشرح الكتاب (٢١٨/٢) - حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير (٦٦/٤) - مغني المحتاج (٢٦١/٢) - شرح منتهي الإرادات (٣٦٢/٢).
(٣) سورة هود، آية: ١١٧.
(٤) سورة الأعراف، آية: ٥٦.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الذبائح والصيد - باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة - (٥٥٨/٩) - حديث رقم (٥٥١٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيد والذبائح - باب النهي عن صبر البهائم -(١٥٤٩/٣) - حديث رقم (١٩٥٦).

تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً..»[1].

ج- ومر ابن عمر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن رسول الله صلي الله عليه وسلم لعن من فعل هذا[2]، وفي هذه الأحاديث إشارة إلي حماية الأمن الغذائي، إذ أن الحيوان المأكول من أنعام وطير وغيرها، لا يجوز إهداره وإتلافه بأي طريقة من الطرق، ففي الهدي النبوي معالجة لمشكلة مهمة، وهي الغذاء بالنسبة للإنسان، فإذا أهدر الإنسان موارده من الغذاء، وعبث بها، فأي نتيجة سوف تنتظره؟ لاشك أن الإتلاف الذي حصل لهذا الحيوان بطريقة جائرة إنما يعود علي الإنسان بالهلاك، فهو قتل للنفس بطريق غير مباشر، وقد قال تعالي: (**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**)[3]، فالقرآن يحثنا علي حسن استخدام العقل والموارد الغذائية علي أساس أن ما في الأرض مسخر كله لإشباع غرائز الجسم والمحافظة علي الجنس البشري، إذن فكل ما يقيم الحياة ويقوي أركانها يدعو إليه الإسلام وما كان خلاف ذلك فهو محرم في الشريعة الإسلامية، فالسعي لتأمين الغذاء إنما هو مطلب تدعو إليه الشريعة الإسلامية.

قال تعالي: (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع**)[4]، إنها مخلوقات سخرها الله لمنفعة الإنسان فلابد من إيجاد الطرق للمحافظة عليها، بل واستنمائها وتكثيرها[5]، وقد قرر الفقهاء عدم جواز المسابقة علي مناطحة الكباش ومهارشة الديكة لا بعوض ولا بغيره[6].

ولا يقتصر الغذاء علي النوع الحيواني فقط، ولكنه مثال، وما يقال في الغذاء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيد والذبائح - باب النهي عن صبر البهائم - (١٥٤٩/٣) حديث رقم (١٩٥٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصيد والذبائح - باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة - (٥٥٨/٩ - ٥٥٩) -حديث رقم (٥٥١٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصيد والذبائح - باب النهي عن صبر البهائم (١٥٤٩/٣ - ١٥٥٠) - حديث رقم (١٩٥٨).
(٣) سورة النساء، آية: ٢٩.
(٤) سورة المؤمنون، آية: ٢١.
(٥) انظر: هندسة النظام البيئي، ص: ١٩.
(٦) انظر: كفاية الأخيار في غاية الإختصار للحصني (١٥٢/) - شرح المنتهي (٢٧٧/٢).

الحيواني يقال أيضاً في الغذاء النباتي.

وفي ختام هذا الفصل نقول: إن كل ما يقيم شئون الحياة وعمارة الأرض من علوم ومعارف، نجد الإسلام يحث عليه ويدعو إليه علي أنه من صلب الدين.... والدين هو الحياة... بل الحياة بدون الدين موات....

قال تعالي: (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون)[1].

فلابد من العودة إلي الدين الإسلامي لوضع الأمور في نصابها.. وإعادة التوازن البيئي إلي ما كان عليه.. فلا خلاص للبشرية من الدمار المرتقب بسبب التلوث البيئي إلا بالعودة للإسلام ففيه من ضوابط التوازن البيئي ما يعيد الأرض ذلولاً.... معطاءة... نظيفة ... صالحة لسكني البشر.

ولابد من القيام بعمل عالمي لمكافحة هذا التلوث في سائر أنحاء العالم، وما لم توجد إدارة عالمية لتشكيل هيئات عالمية تهتم بمكافحة التلوث وأسبابه، فإن كل أمة ستمضي، دون تبصر، في إتلاف البيئة الطبيعية وتسميم التربة، وبث السموم في الأرض[2].

المبحث الخامس

حماية البيئة حال الحرب

من المعلوم أن السلم هي الحال التي يرتضيها كل إنسان علي وجه هذه الخليقة، ولهذا جاءت الدعوة الربانية في قوله تعالي: (والله يدعو إلي دار السلام)[3].

فالسلام مقصد عظيم، ورسالتنا الخالدة إنما هي الإسلام، وتحيتنا الشرعية هي السلام، فالإسلام دين السلام، ولكن قد تطرأ علي الأمة الإسلامية بعض الحالات الإستثنائية التي تحتاج فيها إلي القتال والحرب، لنشر العقيدة الإسلامية أو المحافظة

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.
(٢) انظر: هندسة النظام البيئي ص: ٢٠- ٢١.
(٣) سورة يونس، آية: ٢٥.

عليها، والدفاع عنها، ولهذا شرع الجهاد في ديننا الإسلامي، ولما كان الجهاد أمراً شاقاً ورئاسياً، احتاج الإنسان فيه إلي دافع إيماني عقدي يدفعه للجهاد، فجاءت الآيات والأحاديث متضافرة في بيان فضل الجهاد في سبيل الله عز وجل قال تعالي: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون(١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١٧٠) يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)[1].

نعم.. شهداء العدل والحق، أحياء عند ربهم، فبشهادتهم أبقوا علي حياة المسلمين في بيئاتهم، إلي أن يقضي الله أمراً كان مفعولا.

ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وربما كان في الجهاد دفاع عن البيئة، وتطهيرها من دنس المشركين وظلمهم[2].

والإسلام لما شرع القتال لم يخالف مبدأه في حماية البيئة، بل سعي إلي حمايتها حتي في أثناء الحرب، بل راعي الأخلاق العامة والأدب الإنساني الرفيع، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا بسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»[3].

فالمحافظة علي الأخلاق مطلوب حتي في المواطن التي ربما تغيب عنها بسبب فورات الحقد والغضب، فالمبدأ العام في الشريعة الإسلامية هو المحافظة علي البيئة بشتي مجالاتها، لكن قد تعترض بعض الظروف الخاصة التي تحتاج إلي تعامل مختلف تقتضيه المصلحة العامة للأمة جميعها فيباح في حال الضرورة ما لا يباح في غيرها، وهو مبدأ شرعي مقرر عند علماء المسلمين، وهو أن الضرورات تبيح

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩ - ١٧١.
(٢) تلوث البيئة، ص: ٧٥.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد - باب تأمير الإمام الأمراء علي البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها - (٣/١٣٥٦ - ١٣٥٨) - حديث رقم (١٧٣١).

المحظورات»[1]، ولذا فقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية بعض النماذج لهذه الظروف الاستثنائية، والتي تقدر بقدرها في كل حالة علي حدة.

وإليك بعض الأمور التي فيها إتلاف للبيئة ولكنها جاءت علي خلاف القاعدة العامة، لدواعٍ جليلة وكبيرة لا تتحقق إلا بذلك ومنها:

١- قلع الأشجار وحرقها:

جاء في السير أن وقعة بني النضير كانت في أوائل السنة الرابعة من الهجرة، ومما يذكر عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ذهب مع عشرة من كبار أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي - رضي الله عنهم - إلي محلة بني النضير، يطلب منهم المشاركة في أداء دية قتيلين بحكم ما كان بينه وبينهم من عهد في أول مقدمه علي المدينة، فاستقبله يهود بني النضير بالبشر والترحاب ووعدوا بأداء ما عليهم، بينما كانوا يدبرون أمراً لاغتيال رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن معه، وكان صلي الله عليه وسلم جالساً إلي جدار من بيوتهم، فقال بعضهم لبعض: إنكم لن تجدوا الرجل علي مثل حاله هذه، فمن رجل منكم يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقام كأنما ليقضي أمراً، فلما غاب استبطأه من معه، فخرجوا من المحلة يسألون عنه، فعلموا أنه دخل المدينة، وأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم بالتهيؤ لحرب بني النضير لظهور الخيانة منهم، ونقض عهد الأمان الذي بينه وبينهم.

فلما كان التبييت للغدر برسول الله في محلة بني النضير لم يبق مفر من نبذ عهدهم إليهم، وفق القاعدة الإسلامية: **(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم علي سواء إن الله لا يحب الخائنين)**[2]، فتجهز رسول الله صلي الله عليه وسلم وحاصر محلة بني النضير، وأمهلهم ثلاثة أيام - وقيل عشرة - ليفارقوا جواره ويجلوا عن

(١) انظر: المنثور في القواعد للزركشي (١٦٩/٣) - المجموع المذهب في قواعد المذهب للعلائي (٣٤٣/١)، تحقيق د. محمد عبد الغفار الشريف.
(٢) سورة الأنفال، آية: ٥٨.

المحلة علي أن يأخذوا أموالهم، فرفض اليهود ذلك.

فتحصنوا في الحصون، فأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم بقطع نخيلهم والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه علي من صنعه: فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ وفي الرد عليهم نزل قوله تعالي: **(ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علي أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين)**[1]...واللينة الجيدة من النخل، أو نوع جيد منه معروف للعرب إذ ذاك[2]، وقد قطع المسلمون بعض نخل اليهود، وأبقوا بعضه، فتحرجت صدورهم من الفعل ومن الترك، وكانوا منهيين قبل الحادث وبعده عن مثل هذا الإتجاه في التخريب والتحريق، فاحتاج هذا الاستثناء إلي بيان خاص، يطمئن القلوب، فجاءهم هذا البيان يربط الفعل والترك بإذن الله، فهو الذي تولي بيده هذه الواقعة، وأراد فيها ما أراد، وأنفذ فيها ما قدره، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه، أراد به أن يخزي الفاسقين، وقطع النخيل يخزيهم بالحسرة علي قطعه، وتركه يخزيهم بالحسرة علي فوته، وإرادة الله وراء هذا وذاك علي السواء.

ففي هذه الحادثة بيان واضح لحماية البيئة والمحافظة عليها، وهو أمر متأصل في نفوس الصحابة رضي الله عنهم ولهذا عظم في صدورهم ما فعلوه حتي قال بعضهم: هذا فساد، وقال آخرون: يا رسول الله: هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ حتي نزل قوله تعالي: ما قطعتم من لينة... » الآية[3].

فلو لم يعلم الصحابة رضي الله عنهم يقيناً أن قلع الأشجار من الإفساد في الأرض لما تحرجوا من ذلك.

ولكن قلع الشجر وإن كان فيه تدمير للبيئة الزراعية، إلا أن المصلحة اقتضت هذا القطع وهذا التحريق، والدليل علي أن القلع استثناء، وليس هو القاعدة العامة في شريعتنا الإسلامية هو تحرج الصحابة من هذا العمل، وقد بين لهم المولي عز وجل بعد ذلك أنهم مصيبون في اجتهادهم للمصلحة العامة، فرضي الله تعالي منهم القطع

(١) سورة الحشر، آية: ٥.
(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٣٣٤/٧) - تفسير الرازي (٢٨٤/٢٩).
(٣) انظر: تفسير الماوردي (٥٠٢/٥).

والترك[1].

ولهذا التنازع الكبير بين الأمر وهوحماية البيئة وعدم تدميرها وإتلافها، وبين حال الاستثناء، لم يبح الفقهاء الجواز علي إطلاقه، وإنما ورد تفصيل، وخلاف بينهم، وحاصله: أن الشجر والزرع ينقسم إلي ثلاثة أقسام:

أحدها: ما تدعو الحاجة إلي إتلافه كالذي يقرب من حصونهم، ويمنع من قتالهم أو يستترون به من المسلمين أو يحتاج إلي قطعة لتوسعة طريق أو تمكن من قتل أو إصلاح طريق أو غيره أو يكونون يفعلون ذلك بنا فيفعل بهم ذلك لينتهوا، فهذا يجوز.

الثاني: ما يتضرر المسلمون بقطعه لكونهم ينتفعون ببقائه لعلوفتهم أ يستظلون به أو يأكلون من ثمره أو تكون العادة لم تجر بذلك بيننا وبين عدونا فإذا فعلناه بهم فعلوه بنا فهذا يحرم لما فيه من الإضرار بالمسلمين.

الثالث: ما عدا هذين القسمين مما لا ضرر فيه بالمسلمين ولا نفع سوي غبط الكفار والإضرار بهم ففيه خلاف علي قولين:

القول الأول: يجوز قطع الشجر في هذه الحال، وهو لجمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة[2].

وحجتهم في ذلك، ما روي أن النبي صلي الله عليه وسلم حاصر بني النضير في حصونهم حين نقضوا العهد، فقطع المسلمون عليهم عدداً من نخلهم ورسول الله صلي الله عليه وسلم يراهم، إما بأمره وإما بإقراره، فدل ذلك علي الجواز[3].

القول الثاني: إذا كان الظاهر أن العدو مغلوب، وأن الفتح باد، فلا يجوز القطع، وهو قول الحنفية[4].

---

(١) انظر: أحكام القرآن للشافعي (٢/٤٤ - ٤٥).
(٢) انظر: حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير (٢/١٨٠) - المعونة (١/٦٠٢) - مغني المحتاج (٤/٢٢٦ - ٢٢٧) - الحاوي للماوردي (١٨/٢١١) - كشاف القناع (٣/٤٩) - المغني لابن قدامة (٨/٤٦٠).
(٣) انظر: الحاوي (١٨/ ٢١٠) - الحرشي علي خليل (٣/١١٧).
(٤) انظر: شرح فتح القدير (٥/٤٤٧).

وحجتهم في ذلك أمران:

- **الأول:** قوله تعالي: **(ولا تعثوا في الأرض مفسدين)**[1]، ووجه الدلالة من هذه الآية: أن في التحريق والقلع للشجر لمجرد النكاية بالعدو فساد، وهو منهي عنه فلا يجوز.

- **الثاني:** لما روي أن أبا بكر بعث جيشاً إلي الشام، ونهاهم عن قطع شجرها، وأنها قد تصير دار إسلام فتصبح بعد ذلك غنيمة للمسلمين[2].

ولسنا هنا بصدد مناقشة الأدلة وبيان الراجح، لأن الهدف من البحث هو بيان مبدأ الإسلام في حماية البيئة، الذي قد حوي قانوناً متكاملاً لحماية البيئة حتي في أحلك الظروف وأصعبها كالحروب.

١- تحريق النحل:

النحل مخلوق جعله الله تعالي نعمة لبني الإنسان، فامتن علي عباده بفوائد شهده، فقال تعالي: **(وأوحي ربك إلي النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر** وما يعرشون(٦٨) **ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها** شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)[3].

والنحل أحد الكائنات التي تعيش في البيئة، وهي جزء منها، وقد تطرق الفقهاء إلي مسألة تحريق النحل في حال الحرب، وجملة كلامهم أن تحريق النحل بتفريقه لا يجوز في قول عامة أهل العلم[4]، لما رواه مالك أن أبا بكر رضي الله عنه قال ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه: **«لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ولا** تقطعن شجراً مثمراً، **ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرق** نحلاً ولا تغرقنه»[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٠.
(٢) انظر: شرح فتح القدير (٥/٤٤٧).
(٣) سورة النحل، آية: (٦٨ - ٦٩).
(٤) انظر: حاشية الدسوقي (٢/١٨١) - الحاوي (١٨/٢١٩) - كشاف القناع (٣/٤٨).
(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ - كتاب الجهاد - باب النهي عن قتل النساء والولدا في الغزو (٢/٤٤٧) - حديث رقم (١٠)، وأخرجه البيهقي في سننه - كتاب السير - باب تحريم قتل ماله روح إلا بأن يذبح ويؤكل - (٩/٨٦).

فلا يجوز تحريق النحل أو تغريقه، لأن قتله فساد، فيدخل في عموم قوله تعالي: (**وإذا تولي سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**)[1].

كما أن النحل حيوان له روح فلم يجز إهلاكه، لاسيما وقد ورد النهي عن قتله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحل والهدهد والصرد[2][3].

ومن المالكية من قيد جواز التحريق والإغراق للنحل بالمصلحة، فقالوا: إن اتفق أن تكون مجتمعة في موضع يكثر نفعهم بها ويؤثر فيهم إتلافها جاز ذلك نكاية بهم[4].

ومما سبق يتبين أن عامة الفقهاء يرون تحريم تحريق وقتل النحل، وفي ذلك إشارة واضحة إلي حماية البيئة الحيوانية حتي حال الحرب، ومن أجاز قيد ذلك بالمصلحة ولم يجزه مطلقاً، كقلع الشجر وتحريقه، فالأصل أن تحمي الحيوانات، ولا تمس بأذي، ولا شك أن كلام الفقهاء هذا، جاء من منطلق الحرص التام علي البيئة، وأن إهلاك حيوان له نفع، إنما يعود علي الإنسان بالضرر بالدرجة الأولي، فحماية الحيوان، إنما هي حماية للإنسان وللبيئة عموماً.

٣- قتل الدواب:

قتل الحيوان وإهلاكه دون سبب، ظاهرة غير بيئية، فالحيوان أحد مجالات البيئة، بل هو عنصر مهم في استمرار تدفق الأمن الغذائي للإنسان، وهو عنصر مكمل لتحقيق الراحة والسعة للإنسان قال تعالي: (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين**»[5].

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٥.
(٢) الصرد نوع من الغربان، وكانت العرب تتطير من صوته وتقتله فنهي عن قتله دفعاً للطيره - المصباح ص: ٣٣٧.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الأدب باب في قتل الذر - (٣٦٧/٤)-حديث رقم (٥٢٦٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب الصيد - باب ما ينهي عن قتله - (١٠٧٤/٢) - حديث رقم (٣٢٢٤).
(٤) انظر: المعونة: (٦٠٤/١) - الخرشي علي خليل: (١١٨/٣) - حاشية الدسوقي: (١٨١/٢).
(٥) سورة النحل، آية: (٦٦).

وقد تطرق الفقهاء لحكم قتل الداب والحيوان في الحرب، علي اعتبار أنها حال استثنائية.

ولقتل الحيوان في الحرب أحوال متعددة، وإليك البيان:

الأولي: استخدام الكفار الدواب في قتال المسلمين:

قال الشافعي رحمه الله: (ولكن لو قاتلونا علي خيلهم فوجدنا السبيل إلي قتلهم بأن نعقر بهم، فعلنا لأنها تحتهم أداة لقتلنا، وقد عقر حنظلة بن الراهب بأبي سفيان بن حرب يوم أحد، فانكسعت به فرسه، فسقط عنها، فجلس علي صدره ليقتله فرآه ابن شعوب، فرجع إليه فقتله واستنقذ أبا سفيان من تحته)[1].

فإذا قاتلونا علي خيلهم، جاز لنا أن نعقرها عليهم، لنصل بعقرها إلي قتلهم والظفر بهم، لأنهم ممتنعون بها في الطلب والهرب، أكثر من امتناعهم بحصونهم وسلاحهم، فصارت أذي لنا، فجاز استهلاكها لأجل الأذي، كما جاز استهلاك ما صال من البهائم، وإن لم يجز استهلاك ما لم يصل[2].

الثانية: إدراك الكفار المسلمين وفي يد المسلمين خيلهم او ماشيتهم:

فلو أدرك الكفار المسلمين وفي يد المسلمين خيلهم أو ماشيتهم، فهل يجوز قتلها وعقرها أم لا؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة:

فقال: جمهور العلماء من الحنفية والشافعية والحنابلة[3]: لا يجوز عقر أو قتل شيء من تلك الحيوانات إلا أن يذبح لمأكلة.

حجتهم في ذلك عدة أمور:

١- ما روي عنه صلي الله عليه وسلم أنه نهي عن ذبح الحيوان إلا لمأكلة..[4].

(١) مختصر المزني، ص: ٢٧٢.
(٢) انظر: الحاوي (٢١٩/١٨) - التهذيب (٤٧٤/٧) - كشاف القناع (٤٨/٣).
(٣) انظر: رد المختار (٢٣٠/٣) - مغني المحتاج (٢٢٧/٤) - كشاف القناع (٤٨/٣).
(٤) سبق تخريجه: ٣٨.

٢- ما روي عنه صلي الله عليه وسلم أنه نهي أن تصبر البهائم أو تتخذ غرضاً»[١].

٣- ومما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: «**من قتل عصفوراً بغير حقها سأله الله عن قتلها، قيل يا رسول الله: وما حقها؟، قال: أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها ويرمي بها**»[٢]

ووجه الدلالة:

أن هذه الأخبار تمنع من عقر الحيوان وقتله، والقاعدة أن: كل حيوان لا يحل قتله إذا قدر علي استنقاذه، لم يحل قتله إذا عجز عن استنقاذه[٣].

كما أن في العقر مثلة وقد نهي النبي صلي الله عليه وسلم عن المثلة[٤]، ويؤيد ذلك قول الصديق رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان في وصيته: ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا دابة عجماء، ولا شاة إلا لمأكلة[٥].

وأما المالكية فقالوا: يجوز عقر حيوان للكفار إذا عجز المسلمون عن الانتفاع به[٦] وحجتهم في ذلك أن عقر حيوان الكفار فيه نكاية لهم وإضرار بهم، والأصل فيه قوله تعالي: (**ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح**)[٧]، فكل ما فيه نكاية فهو جائز ومنه قتل حيوانهم[٨].

وفي ظني أن قتل الحيوان يختلف عن تقطيع الشجر وحرقه، لأن النفس لها حرمة في ديننا، فلا يجوز قتلها إلا لغرض مشروع وبالضوابط الشرعية، وعليه فلا

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه النسائي (٢٣٩/٧) - وأحمد (٣٨٩/٤) - ومن حديث ابن عمرو بن العاصي في مسند الشافعي (١٧١/٢) - والبيهقي (٨٦/٩) - وأحمد (١٦٦/٢).
(٣) الحاوي (٢١٨/١٨).
(٤) رواه البخاري في المظالم، حديث رقم: (٥٥١٦).
(٥) انظر: المبسوط للسرخسي (٢٨/١٠-٢٩) - رد المختار (٢٣٠/٣) - مغني المحتاج (٢٢٧/٤) - كشاف القناع (٤٨/٣) - المغني لابن قدامة (٤٥٨/٨).
(٦) حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير (١٨١/٢) - الخرشي (١١٨/٣).
(٧) سورة التوبة، آية: ١٢٠
(٨) انظر: المعونة (٦٠٣/١) - المدونة (٣٧١/١).

يجوز قتل الحيوان، لأجل النكاية بالعدو فقط، وهذا بخلاف ما لو كان الحيوان أداه لقتال المسلمين، فيجوز حينئذ[١].

ويؤخذ من هذا الحكم مدي اهتمام الشريعة الإسلامية بالبيئة الحيوانية، أذ أنها لم تجز قتل الحيوان واتلافه، حتي في حال الحرب رعاية منها لشأن البيئة وأهميتها.

٤- تغوير الآبار:

الآبار مصدر مهم لا يستهان به من البيئة المائية، وغالب انتفاعات أصحاب البوادي وحتي المدن في كثير من الأحيان من الآبار، فهي لا شك عنصر مؤثر في البيئة المائية، ولهذا وجب المحافظة عليها، وعلي اعتبار أنها جزء من البيئة مسخر لخدمة الإنسان، ولأهمية موضوع الآبار فقد وضع العلماء أحكاماً خاصة للآبار، منها أن للبئر حريماً لا يجوز لأي شخص أن يتعدي عليه، فمن حفر بئراً في أرض موات، فأستخرج الماء، فله ما حولها حماية لها، وإن اختلف الفقهاء في المسافة التي تكون حريماً للبئر[٢]، لكن يؤخذ من ذلك اهتمامهم بالآبار ووجوب حمايتها وعدم إفسادها بالتعدي أو بغيره.

وهذا هو الأصل في الشريعة الإسلامية، لكن أجاز الفقهاء تغوير الآبار، وردمها في حال الحرب إذا اقتضت الضرورة ودعت الحاجة والمصلحة العامة لقطع المياه ومنعها عن الكفار لإضعافهم[٣].

بدليل فعل الرسول صلي الله عليه وسلم يوم بدر حين أمر بالقلب فغورت[٤].

فعن ابن اسحاق قال: حُدثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٤٥٨/٨ - ٤٥٩).
(٢) انظر: فتح الغاية بشرح النقاية (٥٥٩/٢) - الباب (٢٢١/٢) - حاشية الدسوقي (٦٧/٤) - شرح التنبيه للسيوطي (٥٠٣/٢) - كشاف القناع (١٩٢/٤).
(٣) انظر: بدائع الصنائع (١٠٠/٧) - بلغة السالك (٣٥٨/) - نهاية المحتاج (٦١/٨) - كشاف القناع (٤٨/٣).
(٤) غور: الغور: هو ما انخفض من الأرض، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٩٦٣/٣) - وقيل: هو من كل شيء قعره - المصباح ص: (٤٥٦)، والمراد به هنا: الدفن والطمس.

نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؛ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس، حتي نأتي أدني ماء من القوم، فننزله، ثم غور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون؛ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم، لقد أشرت بالرأي، فنهض رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن معه من الناس، فسار حتي إذا أتي أدني ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبني حوضاً علي القليب الذي نزل عليه، فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[1].

ومن ذلك يعلم أن ردم الآبار وإتلافها ليس هو القاعدة العامة، بل الأصل هو المحافظة علي ذلك المورد المائي، الذي هو جزء من البيئة التي نعيش فيها.

٥- الأمن والبيئة:

قبل ختام هذا المبحث الخاص بالبيئة حال الحرب، لابد لنا من كلمة في هذا الشأن، وهو موضوع مهم جداً، يحتاج من جميع الشعوب الانتباه له، ووضع الوسائل الكفيلة بمعالجته، وهو موضوع تزايد أعداد وكميات الأسلحة المدمرة، كالبيولوجية والكيماوية والنووية، فهذه الأسلحة تشكل خطراً حقيقياً علي البيئة.

واليوم لم تعد وسائل الحرب بسيطة كما كانت في الزمن الماضي، فإذا كان الفقهاء قد ناقشوا حكم تحريق النخل أو قتل الحيوان والنحل، فما هو حكمهم اليوم علي أسلحة الدمار الشامل؟؟

وقد أعلن الميثاق العالمي للطبيعة أنه: يجب أن تؤمن الطبيعة ضد التردي الذي تسببه الحرب، أو الأنشطة العدائية الأخري(٢).

ونحن إذ نقرر هذا المبدأ، لا يعني عدم اتخاذنا لكل قوة مناسبة تكفل حماية أمتنا واستقرارها، قال تعالي: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من**

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٧٢).
(٢) بيئة من أجل البقاء، ص: (٧٤٩)

في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)[1].

فلابد من إعداد العدة، لكن مع مراعاة الجوانب الأخري، للمحافظة علي أمن هذا الكوكب الذي نعيش فيه جميعنا.

ويجب أن يسود هذا المبدأ فكراً عاماً تلتزم بموجبه جميع الدول، حتي لا تنفرد دولة دون أخري بالقوة والإمكانية.

(١) سورة الأنفال، آية: (٦٠).

الخاتمـــة

وبعد تجوالنا في رحاب هذا الموضوع الحيوي، المرتبط بحياة الإنسان مباشرة، تبين لنا بجلاء، أن الشريعة الإسلامية قانون متكامل لحماية البيئة، وأنها قد وضعت الضوابط العامة بشأن المحافظة علي البيئة بشتي مجالاتها، وإليك أهم النتائج التي توصلنا لها في هذا البحث:

١- أشهر معاني البيئة في اللغة هي الموضع أو المنزل والإقامة.

٢- البيئة في الاصطلاح هي: الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مع غيره من الكائنات الحية وغيرها، تجمعهما علاقات منظمة، قائمة علي التأثر والتأثير.

٣- مكونات البيئة، أربعة أمور: العناصر الحية المستهلكة، والطبيعة والتنظيم الإجتماعي، والتكنولوجيا.

٤- هناك إرشادات متعددة للبيئة بشتي مجالاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٥- الشريعة الإسلامية قد أوجدت أول قانون متكامل ينظم حماية البيئة بمختلف مجالاتها.

٦- تعاملت الشريعة الإسلامية مع موضوع البيئة من منطلقين: الأول: الثوابت والمباديء، والثاني: المجالات البيئية.

٧- وضعت الشريعة الإسلامية علاجاً لمعظم المشكلات البيئية، كما نبهت إلي طرق الوقاية من هذه المشاكل.

٨- لم تغفل الشريعة الإسلامية عن مبدأ حماية البيئة حتي في حالات الإستثناء والضرورة وهي الحرب، فمنعت جملة أمور حماية للبيئة من التلوث والإتلاف.

٩- يجب الإنتباه إلي خطورة أسلحة الدمار الشامل لتأثيرها السلبي علي البيئة.

هذا ونسأل الله تعالي لنا ولجميع المسلمين التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملحق المراجع

١- الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ط الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية - ١٤١٣هـ ١٩٩٢م - القاهرة.

٢- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفي سنة ٥٩٣م - ط. دار الفكر - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣- الإنسان والبيئة د. محمد سعيد الصباريني، د. رشيد حمد الحمد - الطبعة الأولي ١٩٩٤م.

٤- الإنسان وقضايا البيئة د. ضاري ناصر العجمي - د. عبد المنعم مصطفي - الطبعة الأولي ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥- آيات للمؤمنين . محمد الصرايرة - ط، مكتبة المنار - الأردن - الطبعة الأولي - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، المتوفي سنة ٥٨٧هـ، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الثانية (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

٧- بلغة السالك لأقرب المسالك إلي مذهب مالك، للشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي ط، مصطفي البابي الحلبي - مصر - الطبعة الأخيرة - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

٨- البيئة والتنمية المستديمة د. عبد الله رمضان الكندري - الطبعة الأولي - الكويت ١٩٩٢م.

٩- بيئة من أجل البقاء د. سعيد محمد الحفار - ط. دار الثقافة للنشر - قطر - الأولي - ١٤١٠هـ - ١٩٩٤م.

١٠- التربية البيئية د. صبري الدمرداش -ط، مكتبة العلاج - الكويت - الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١- التربية البيئية د. محمد منير سعد الدين، ط دار بيروت المحروسة - الطبعة الأولي - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢- تفسير البيضاوي المسمي أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي أبي سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد البيضاوي المتوفي سنة ٧٩١هـ ط، دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٣- التفسير الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء المتوفي سنة ٦٠٤هـ، ط، دار الفكر - بيروت - ١٩٨١م.

١٤- تفسير الماوردي المسمي النكت والعيون؛ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفي سنة ٤٥٠هـ - ط، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥- تفسير المراغي تأليف أحمد مصطفي المراغي - ط، مصطفي البابي الحلبي - مصر - الطبعة الرابعة - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٦- تلوث البيئة د. محمد رشوان - ط. دار الثقافة والنشر - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٧- تهذيب الصحاح لمحمود بن أحمد الزنجاتي الشافعي، المتوفي سنة ٦٥٦هـ ط. دار المعارف - مصر.

١٨- التهذيب في الفقه لأبي محمد الحسين بن سعود البغوي - المتوفي سنة ٥١٦هـ - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٩- التوقيف علي مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي المتوفي سنة ١٠٣١هـ - ط. دار الكفر - دمشق الطبعة الأولي ١٤١٠هـ - ١٩٩م.

٢٠- حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي ط: دار إحياء الكتب العربية - مصر.

٢١- الحاوي الكبير لأبي الحسن علي الماوردي المتوفي سنة - ٤٥٠هـ - ط، دار الفكر - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٢- الخرشي علي مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن علي الخرشي، المتوفي سنة ١١٠١هـ. ط: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

٢٣- رد المحتار علي الدر المختار، للشيخ محمد أمين بن اليحمر الشهير بابن عابدين، المتوفي سنة ١٣٠٦هـ، ط: دارإحياء التراث العربي - بيروت، الثانية ١٩٨٧م.

٢٤- روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي: البغددي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٥- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال لدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المتوفي سنة ٥٩٧هـ. ط دار الفكر - بيروت - الأولي ١٩٨٧م.

٢٦- السنن الكبري للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفي سنة ٤٨٥هـ. ط: در الكتب العلمية - بيروت - الأولي (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٢٧- سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفي سنة ٢٧٥هـ. ط: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسي البابي الحلبي - القاهرة.

٢٨- سنن أبي داود، للحافظ أبي سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المتوفي سنة ٢٥٧هـ.ط: المكتبة العصرية - بيروت.

٢٩- السيرة النبوية لابن هشام - أبي محمد عبد الملك بن هشام المتوفي سنة ٢١٨هـ. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٠- شرح فتح القدير، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام الحنفي، المتوفي سنة ٦٨١هـ. ط: دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

٣١- شرح صحيح مسلم، للشيخ أبي زكريا يحيي ابن شرف بن مري النووي، المتوفي سنة ٦٧٦هـ. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٢- شرح مختصر الروضة لأبي ربيع سليمان بن عبد القوي ابن سعيد الطوفي المتوفي سنة ٧١٦هـ -ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٣- شرح منتهي الإرادات للشيخ منصور بن يونس البهوتي المتوفي سنة ١٠٥١هـ - ط. عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١هـ - ١٩٩٣م.

٣٤- فتح باب العناية بشرح النقابة لنور الدين ابن الحسن الروي القاري المتوفي سنة ١٠١٤هـ - ط.: دار القلم الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٥- فتح الباري، شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر المتوفي سنة ٨٥٢هـ. ط: دار المعرفة - بيروت.

٣٦- فتح العلام بشرح الأعلام بأحاديث الأحكام - لشيخ الإسلام أبي يحيي زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٥٢هـ -ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٣٧- في ظلال القرآن لسيد قطب ط. دار الشروق - العاشرة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٨- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفي سنة ٨١٧هـ. ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٣٩- قضايا بيئية معاصرة. زين الدين عبد المقصود - ط. الأولي (١٤١٠هـ - ١٩٩٥م) دار البحوث العلمية - الكويت.

٤٠- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن جزي المتوفي سنة ٢٩٢هـ ط. دار الفكر - بيروت.

٤١- الكشاف لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري - المتوفي سنة ٥٣٨هـ - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٢- كشاف القناع عن متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس إدريس البهوتي، المتوفي سنة ١٠٥١هـ. ط: دار الفكر - بيروت (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

٤٣- كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار لأبي بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي المتوفي سنة ٨٢٩هـ - ط. دار المعرفة - بيروت.

٤٤- الكليات لأبي البقاء أيوب بن خوسي الكفوي المتوفي سنة ١٠٩٤هـ - ط. مؤسسة الرسالة الطبعة الأولي - ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤٥- اللباب شرح الكتاب للشيخ عبد الغني الميداني - ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٠م.

٤٦- المبسوط لشمس الدين السرخسي المتوفي سنة ٤٩٠هـ ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٧- المجموع المذهب شرح قواعد المذهب للحافظ أبي سعيد خليل بن كيكلداي العلائي، المتوفي سنة ٧٦١هـ. ط: وزارة الأوقاف الكويتية، تحقيق د. محمد عبد الغفار الشريف، الطبعة الأولي (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٤٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفي سنة ٢٤١هـ، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٩- مسند الإمام الشافعي المتوفي سنة ٢٠٤هـ - ط. دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

٥٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المتوفي سنة ٧٧٠هـ. ط: دار الكتب العلمية - بيروت - الأولي (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٥١- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا - ط. دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولي - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٢- المعونة علي مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب البغدادي ط. دار الفكر - بيروت.

٥٣- المغرب في ترتيب المعرب للإمام أبي الفتح ناصر بن عبد السيد علي المطرزي - ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٥٤- مغني المحتاج شرح المنهاج للخطيب الشربيني - ط. دار الفكر - بيروت.

٥٥- المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المتوفي سنة ٦٢٠هـ. ط: مكتبة الكليات الأزهرية - مصر.

٥٦- من علوم الأرض القرآنية د. عدنان الشريف - ط. دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٥٧- المنثور في القواعد لبدر الدين الزركشي المتوفي سنة ط، وزارة الأوقاف الكويتية - الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٨- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير المتوفي سنة ٦٠٦هـ - ط. دار إحياء الكتب العلمية - مصر.

٥٩- نهاية المحتاج إلي شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي، المتوفي سنة ١٠٠٤هـ. ط: مصطفي البابي الحلبي - مصر، الأخيرة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م).

٦٠- نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٥هـ، ط. دار المعرفة - بيروت.

٦١- هندسة النظام البيئي في القرآن الكريم. د. عبد العليم عبد الرحمن صقر - ط. دار الحكمة للنشر والتوزيع - البحرين - الأولي ١٩٩٥م.

من البحوث:

٦٢- أثر التراث النفطي علي البيئة البحرية د. رفعت مصطفي علي.

٦٣- حماية البيئة في الفقه الإسلامي أ. د. أحمد عبد الكريم سلامة - مجلة الأحمدية - العدد الأول - محرم ١٤١٩هـ.

٦٤- اللاجئون البيئيون د. زين الدين عبد الدين عبد المقصود - مجلة البيئة - السنة الثالثة العدد ٢١ - إصدار جمعية حماية البيئة الكويتية.

الفهرس

الشريعة الإسلامية وحماية البيئة

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: بيان معني البيئة في اللغة والإصطلاح	٢٥٨
المبحث الثاني: البيئة في القرآن الكريم.	٢٦١
أولاً: البيئة بمفهومها العام	٢٦٢
ثانياً: نظرية توازن البيئة في القرآن الكريم	٢٦٣
ثالثاً: البيئة البحرية في القرآن الكريم	٢٦٥
رابعاً: البيئة الزراعية في القرآن الكريم	٢٦٧
خامساً: البيئة البرية في القرآن الكريم	٢٧٠
المبحث الثالث: البيئة في السنة النبوية	٢٧١
أولاً: البيئة الزراعية	٢٧١
ثانياً: النظام البيئي	٢٧٣
ثالثاً: آداب بيئية عامة	٢٧٤
المبحث الرابع: حماية الإسلام للبيئة	٢٧٥
أولاً الثوابت والمباديء:	٢٧٥
١- الدعوة إلي النظر والتفكر في هذا الكون	٢٧٧
٢- معرفة ما ينفع الإنسان في هذا الكون	٢٧٧
٣- مبدأ الحلال والحرام	٢٧٨
٤- خطورة تلوث البيئة	٢٧٩
٥- الإنتماء إلي البيئة	٢٨٠

ثانياً: المجالات: أ- البيئة الجسدية: ٢٨١
١- الوضوء ٢٨١
٢- سنن الفطرة ٢٨٢
٣- الثياب الأبيض ٢٨٢
٤- نظافة الأواني ٢٨٣

البيئة الطبيعية ٢٨٤

أولاً: مشكلة التلوث ٢٨٤
ثانياً: مشكلة التصحر ٢٨٩
ثالثاً: مشكلة الغذاء ٢٩٢
المبحث الخامس: حماية البيئة حال الحرب ٢٩٤
١- قلع الأشجار وحرقها ٢٩٦
٢- تحريق النحل ٢٩٩
٣- قتل الدواب ٣٠٠
٤- تغوير الآبار ٣٠٣
٥- الأمن والبيئة ٣٠٤
الخاتمة ٣٠٦
ملحق المراجع ٣٠٧
الفهرس ٣١٣